- المدرسةُ الإعداديّةُ النّموذجيّةُ بسليانةَ. السّنوات لتّاسعة.

- الأستاذ: إبراهيم السّمراني. ــ السّنة الدراسيّة:2015/ 2016.

TuniTests

- تمهيد عامّ:

يشتمل برنامج الإنتاج الكتابيّ للسّنوات التّاسعة أساسيّا على خمسة محاور يندرج في إطارها تدريبُ التّلميذِ على التّحرير والكتابة، وتلك المحاور هي:

* المحور الأوّل: العمل.

* المحور الثّاني: المرأة في المجتمعات المعاصرة.

* المحور الثّالث: من شواغل عالمنا المعاصر.

* المحور الرّابع: الفنون.

* المحور الخامس: تفاعل الثّقافات وتلاقح الحضارات.

المحور الأوّل: العمل:

- **تمهيدٌ:**

أهداف المحور، ومنطق التّرتيب ودواعيه:

يقوم المحور على مجموعة من الأهداف المُتراتبةِ وذات الوتيرة الحجاجيّة المتصاعدة. حيث مثار الحجاج الأوّل التّناقُشُ مع الفئات المُعرِضة عن العمل العازفة عنه، لإقناعها بأهميّته قيمةً إنسانيّةً خلاّقةً ساميةً سواءٌ بالنّسبة إلى الفرد أو بالنّسبة إلى المجتمع. وكثيرا ما نحتاج، لتحقيق ذلك، مقابلةَ مزاياهُ ومحاسنِه بمخاطر "البطالة"، حتّى تتسنّى للجاحد المُنكِر المقارنةُ الذّاتيّة الّتي غالبا ما تؤول إلى اقتناعٍ واعترافٍ بأهميّة العمل. وفي هذا الطّور الحجاجيّ نكون عند الهدف الأوّل: أهمّيّة العمل ومخاطر البطالة.

ثمّ يتنامى الحجاج ليبلغ درجةً أبعد حين نرى من حاججناه يشعر بالحرج إذْ واجهناه بحجج تُشكِّك في شخصيّته، وربّما في إنسانيّته أصلاً، بل وفي وجوده كاملا، إذا هو عَمَهَ في بطالته وسَدر، ممّا قد يجعله يبادر إلى العمل شكليّا لدرْء الشّبهة عن نفسه متوسّلا التّوانيَ والكسل والخداعَ في آدائه لذلك الواجب، وأمثلةُ ذلك كثيرةٌ في المجتمع (أصحاب الحرف وطرُقهم في تمرير بضاعتهم بألوان الغشّ والمكر،عمّال الفلاحة والمصانع وأساليبهم في البحث عن الرّاحة على حساب الواجب، الموظّفون في الإدارات والمؤسّسات وما يمارسونه من ألوان اللَّدَدِ والمُماطلة تهرّبا من آداء الواجب...) وفي هذا الشّأن تكون المهّةُ تصدّيًا لذلك المتواني المتواكل أو الغشّاش المخادع في آدائه لمهمّته، لتذْكيره بارتباط العمل أساسا بفضيلة الأخلاق، مثْله مثل أيّ قيمة إنسانيّة يقف عليها وجود البشريّة (العلم مرتبط بالأخلاق، والفنون مرتبطة بالأخلاق، والدّين مرتبط بالأخلاق، والعلاقات الاِجتماعيّة قوامها الأخلاق....) والعمل هو نقطة الاِلتقاء والرّبط بينها جميعا، فلا مندوحةَ من اِرتباطه بالأخلاق.

وقد يكون الإخلال بالأخلاق المهنيّة من جهة المؤجِّر الموظِّف المُشغِّل، شخصًا كان (فلاّح، صاحب حضيرة بناء، صاحب ورشة...) أم مؤسّسةً كبرى خاصّة أو عامّة (مصنع، شركة، إدارة...، انظر في هذا الصّدد نصوص مثل: أرهقني العمل أرهقتني البطالة +

لنرحم العامل+ السّلسلة الجهنّميّة). فيكون دورُنا حينها التصدّي لذلك الطّرف أو تلك الجهة المتعاملة مع العامل "بلا أخلاق"، من خلال أشكال الإستغلال وضروب الإبتزاز والإنتهاك الماديّ الجسديّ أو النّفسيّ المعنويّ. بهذا الاتّجاه نكون عند الهدف الثّاني: الاخلاق المهنيّة شرطًا من شروط النّجاح في العمل.

وإذا فرغنا من مسألة ارتباط العمل بالأخلاق نرتفع إلى مستوًى ثالث من مدارات الحجاج، إذا رأينا حِجاجنا مثلا قد أفحمَ مُحاوِرنا فبات لا يمنح نفسه أوقاتا للرّاحة وتجديد الطّاقة، لِينكبّ على العمل بإفرطٍ مخلٍّ يكون على حساب صحّته وبدنه وهما أمانة لديه. أو أنّه يقع تحت طائلة طرفٍ ما يمنعه من حقّه في الإستمتاع بأوقاتٍ للرّاحة والإستجمام (وليٌّ مثلا).

ويمكن أن يكون شكلُ الإخلال أيضا هناك في الزّاوية المقابلة تماما، حيث يستهتر بعضُهم في التعامل مع أوقات الرّاحة فيبدّدها هباءً في ضروب اللّهو وصنوف العبث، ممّا قد ينعكس سلبا على عمل المرء (التّلميذ وسوء إستغلاله لأوقات راحته من يومه وأسبوعه وثلاثيّته وسنته، العامل بالمصنع والشركة، الموظّف بالمؤسّسة والإدارة...) ولمّا كان مدار الحجاج كذلك ألفينا أنفسنا إزاء الهدف الثّالث: ضرورة

الموازنة بين واجب العمل وحقّ الرّاحة.

TuniTests

رابع أهداف المحور وآخرها، هو: الوعيُ بتجدُّد الأعمال والمِهن بتجدّد الأزمنة، وضرورة مواكبتنا لذلك التطوّر والتّنامي الحتميّ.

وهو المستوى الرّابع من الحجاج في قضيّة "العمل" لأنّنا وقتها نتناوله من زاوية جديدة خاصّة تقتضي التّسليم بأنّ الزّمن كفيلٌ ب "تحيين" (mise a jour) الأعمال والمهن،

فيُبلي بعضها ويُفنيه، ويُطوّر بعضها الآخر ويُثريه، ويخلق أنشطةً وحِرفا مستجِدّة لم يكنْ للسّابقين الغابرين أدنى تصوُّر لظهورها. ولو نظرنا اليوم إلى واقعنا لوجدنا أنشطةً إنسانيّة يوميّة كانت ذات عهود مصدرَ كسبٍ لا غنًى عنه، بيد أنّها في عصرنا الرّاهن قد غدتْ أثرا بعد عينٍ:

- في عهود بعيدة: (أين الكاتب العموميّ والحدّاد صانع المحراث التقليديّ ذي السكّة الواحدة تجرّها دابّة؟ وأين قفّاء الأثر والإسكافيّ في مفهومه القديم؟ وأين مُمتهنو "فندقة" الدوابّ على تخوم المدينة ومداخلها ومُجلِّدو الكتبِ؟ وأين المتطبّب الرّعوانيّ والمؤدّب والحَكواتيّ وبوطبيلة والسقّاء والعطّار ومُطرّز الجباب وسائر الملابس التقليديّة؟ وأين ربّات البيوت الماهرات في إقامة المناسج وحياكة الصّوف بتلك الإبر الطويلة السّميكة...؟ وأين صانع أدوات الفروسيّة وركوب الخيل؟ وأين الخاطبة...؟)

- وإلى عهود قريبة (أين مراكز الاتّصال العموميّ: " les taxiphones"؟ وأين محلاّت اِكتراء أجهزة "الفيديو" و"أشرطة الفيديو" أيضا؟ وأين بائعو السّاعات اليدويّة والمنبّهات الرنّانة المُجلجِلة في منازلنا أواخر اللّيل وتباشير النّهار لإيقاضنا؟ وأين باعة المذياع ومصلحوه؟...)

و في المقابل طَفَتْ إلى الوجود، كما قلنا، مِهَنٌ أخرى لم يكن لأسلافنا أدنى تصوُّرٍ لإمكانيّة ظهورها من قبيل التجارة عن بعدٍ إلكترونيّا، ومحلاّت "الانترنيت" العموميّة بما تقدّمه من خدمات للتّلميذ وسائر المواطنين، ومحلاّت بيع الهواتف الجوّالة وإصلاحها، ومحلاّت بيع العطور العصريّة "parfumerie"

والعمليّة الحجاجيّة في هذا الهدف الأخير مدارها إقناع الرّافضين لحقيقة التجدّد والتطوّر في الأعمال بهذه الخاصّيّة، ومحاولة دحض دوافعهم المختلفة في تبنّي هذا الموقف. فقد تكون العلّة هي العقليّة التّقليديّة ذات الحنين المفرط إلى كلّ ما هو ماضٍ قديم، أوقد تكون عدم قدرة البعض على فهم مجريات الأمور ونقص في مواكبة روح العصر، بما تستوجبه من عقليّة مرنة مؤمنة دوما بالتّغيير في كلّ الأمور، بما فيها الأعمال والأشغال. وقد نُعيد

العلّة إلى تضرّر مصالح البعض بسبب هذا التبدّل والتجدّد (السّاعاتيّ مثلا لا يتقبّل بيُسرٍ أن يستغني النّاس عن اشتراء السّاعات اليدويّة ذوات العقارب الدوّارة، لاقتران جلّ الآلات والأجهزة الألكترونيّة المعاصرة، إنْ لم نقل كلّها، في شاشاتها ب "مؤشّر التّوقيت" (الهاتف الجوّال والقارّ، التّلفاز الحديث، "اللاّقط"، السيارة، السّاحة العامّة والطريق...)

-I- الهدف الأوّل: أهميّة العمل ومخاطر البطالة:

1/أهميّة العمل بالنّسبة إلى الفرد والمجتمع:

أ- حجج تناسب الأطروحة المدحوضة: (الموقف المُزدري للعمل)

ليس كلُّ النّاسِ بالضّرورة مؤمنين بأنّ العملَ قيمةٌ إنسانيّة أساسيّة لا اِستقامةَ لوجود البشريّة إلاّ بها، بل إنّكَ لَتجد كثيرا من الأفراد يَزدرونَ الكدَّ والجدَّ لكسْب لقمة المعاش، ويُفضّلون القعود والجمودَ منتظرين مَن يَرزُقُهم اللّقمةَ زَقّا كفراخ الطّيور تمامًا، والحال أنّهم قادرون على البذل والعطاء ماديّا (صحّة الجسد) ومعنويّا (سلامة المَدارك النّفسيّة والذهنيّة).

TuniTests

ولهذه الطّائفة الغريبة من البشر مبرّراتٌ تسوقها لتعليل العزوف عن العمل والاِستغراق في دوّامة الرّكود والرّكون. ولهذا سنحاول تَصَوُّرَ مجمل الحجج الواهية الواهنة الّتي يتحصّنون عندها لتبرير موقفهم المُعادي لفضيلة العمل:

*] هو شقاء وعناء وإفناء لزهرة العمر في جحيم الواجبات الّتي لا تكفّ ولا تنتهي، وحياة العاملين تحاكي حياة الدّوابّ: أعباء باللّيل والنّهار، ونَصَبٌ بالغدوّ والرَّواح، ولُهاثٌ وراء المجهول بالإمساء والإصباح، حتّى تُمسي الحياة دوّامةً مُهلكة وجحيما قاتلا. مثَل العامل في مطاردته للقمة المعاش كمثَل الحصان يطارد تلك الجزرة المتدليّة أمام ناظريْه،

بيد أنّه كلّما اِزداد فيها رغبةً اِزدادت هي عنه نأيًا. فالعمل يجعلنا نطارد سرابا، ولا نجني في نهاية الرّحلة المريرة لسنوات مضنية طويلة سوى الأمراض والأسقام والعاهات والخيبات والحسرات، هذا إذا إنْ لم يلقَ العامل حتفه في ريعان الشّباب ومقتبَل العمر.

***] العمل للمساكين والمحتاجين ممّنْ تدنّت مراتبُهم وانحطّت مكانتُهم، يشقوْن ليسعد غيرُهم ويكدحون ليهنأ سواهم، وهذا- لعمري- ضربٌ من الحمق والغباء، وأنا لست مستعدّا لأكون واحدا من هؤلاء الحمقى المغفَّلين أَذوي ليُزهِر آخرون، وأذبل ليَيْنعَ جاحدون.**

***] لقد ولّى زمانُ التّعويل على دخْل الرّاتب والوظيفة لضمان مستوى العيش المرموق اللاّئق، وأصبحنا في زمانٍ غلتْ معيشتُه وتفاقمت طلباتُه، لهذا على المرء أن يكون فطِنا لبيبا كَيِّسا يواكب عصره ويتكيّف وخصوصيّاتِه، ويتّبع سُبلاً جديدةً للكسب الوفير الغزير، دونما شقاء أو عناء. فهاهو جوف الأرض عامرٌ كنوزًا، وما على المرء سوى أن ينخرط في هذه الجماعة أو تلك للنّبش عنها واستخراجها، وحين يحالفه الحظّ ويظفر بضالّته سينعم بمعاش الهناء والرّخاء والدّعَة. أمّا على سطح هذ الأرض فمصدر ثراء آخر يسيرٌ سهل المنال. إنّها أنواع الرّهانات وبرامج المسابقات في كلّ الشّاشات والقنوات وما عليك سوى المشاركة بالطّرق المعروفة الشّائعة، فإذا حالفك الحظّ وكنت من الفائزين، غدوتَ من أصحاب الملايين، بل قل البلايين. وتلك المسابقات محلّيّة داخليّة أو عالميّة كونيّة (مسابقة planet مثلا). وكلّ هذه السّبل الجديدة للكسب ليست سوى غيضٍ من فيضٍ، ونزرٍ من غزْرٍ، وقطرةٍ من هطْلٍ .**

***] أنا مُوسِرٌ غنيّ أرفُلُ في الرّياش والحرير والدّيباج والخزّ، وأَتَبحْبَحُ في جنّات النّعيم، فما حاجتي إلى إنهاك جسمي وإرهاق ذهني بشواغل العمل وهمومه الّتي ليست إلاّ مجلبةً للضّجر وصُنوف الهمّ والكَدَر. وكما قال الحكيم: "العمر قصير والملذّات كثيرة، فلا نُزهقنَّهُ في جحيم الواجبات". أو كما نادى أحد الشّعراء حاثّا بني البشر الفطنين الأذكياء، لا**

الغافلين الأغبياء، على إنفاق العمر في طلب الملذّات ونُشدان المتع والشّهوات، دون تكدير النّفس بهمّ السّعي والكسب، فما من دابّة على الأرض إلاّ وعلى الله رزقها:

اِغنمْ زمانكَ في الـــلذّات والمُــتَـعِ *** لا تــشغـلْ البــالَ بالأعمالِ والنّـــصَب

لـــن يجنيَ المرءُ مِن مسعاه مُكتدِحًا *** غير العناءِ وصرْفِ العــمْرِ في الـتّعبِ

ستُهدِرُ الدّهــرَ همًّا لن تــرى دعَـــــــةً *** النّارُ ما شـبعــت يـــوما مـــن الـحطـبِ

*] المِهَنُ من المهانة والهوان، والذّات البشريّة لم تُخلقْ لِنَمتَهنَها بجحيم العمل وأعبائه وأرزائه، ولو لُذتَ بتاريخ أسلافنا الّذين هم أُسوتُنا وقُدوتُنا لَألفيتَ العملَ عندهم للعبيد الأذلاّء الوُضعاء الأشقياء التّعساء... بينما مراتب السّيادة والوجاهة والرِّفعة لأسياد القوم وأشرافهم، لا يرعوْن غَنَما ولا يعلِفون ماشيةً ولا يتعهّدون قطيعا. فخَدَمُهم مَن يتكفّل بذلك. وأنا أريد حياة السّيادة والعزّة لا مراتب العبوديّة والحَقارة.

*] العمل ينغّص على الإنسان معيشته، إذْ يقطعه عن آلِه وذَويه وقومه، ويمنعه عن صَحبه ورِفقته وجمعه، خاصّة في هذا العصر اللّعين حيث أشغاله باللّيل والنّهار، في المصانع والحقول والأنهار، بل وفي الصّحارَى والجبال والبحار... فهو بالفعل هادم اللذّات ومُفرّق الجماعات والدّافع عن مُتع الحياة. فلْنُشحْ عنه بوجوهنا، ولْنهجرْهُ هجرا جميلا، نغنمْ معاشا طيّبا وطويلا.

ب- حجج تناسب الأطروحة المدعومة: (الموقف المؤمن بأهميّة العمل)

- ❖ بالنّسبة إلى الفرد:

✔ معنويًّا:

*] عملُ المرْءِ أفضل سبيلٍ لتأسيس كِيانه ونَحْتِ شخصيّتِه والرُّقيِّ بفكرِه ووِجْدانه، به يُثبتُ وُجودَه ويترك بصمته جليّةً في خِضَمِّ الحياةِ ومُعتَرَكِ الأيّامِ. فنحنُ معشرَ البشرِ أوّلُ المخلوقاتِ المُقترِنِ مصيرُها بواجبِ العملِ، لأنّنا إذا اكتفَيْنا بوظائفِ التّناسل وإشباعِ ضرورات المأكل والمشرب وكِساء الجسمِ، لن نتجاوزَ، بذلك، طورَ الوجودِ الحيوانيِّ الأجوفِ الخاوي المُتدنّي، إذِ الحيواناتُ بدورها تتناسلُ وتعتاشُ على الغذاء والماء والهواء. أمّا ما يجعلُنا بالفعْلِ أناسيَّ في الطّورِ الأرفع الأسنى من تجلّياتِ كينونتِنا وماهيّتِنا الإنسانيّةِ، فرسالةُ العملِ التّي عليها مدارُ آدميّتِنا وبَشَرِيّتِنا وإنْسِيّتِنا، ناطقةً بِرِفْعةِ مداركنا وجوارحنا. وفي ذلك أفضلُ تُرجُمانٍ لأبعادِ تلك القولة المأثورة: "نحنُ قوم لا نعيش لنأكلَ بل نأكلُ لنعيشَ".

وشتّان بينَ بَهيمةٍ تحيا بإملاءاتِ الغريزة وإلحاحِ الرّغائب والنّزعات الفطريّة، وبين إنسيٍّ عاقلٍ يجعل العملَ غايتهُ الأسمى ومأمله الأرفعَ الأسنى. بينما تظلُّ تلك المطالبُ الغريزيّة الدّفينةُ وسيلةً من وسائل ضمان البقاءِ، واتّقاءِ الموت فالتّلاشي والفناءِ. وانظرْ ما يستشعرهُ الفردُ من إحساسٍ بِرِفْعة الشّأنِ وعُلُوِّ المقامِ إذا أنجز بعمله اليدويّ الماديّ الحِرفيّ أو الفكريّ العقليّ المعنويّ صناعةً ماثلةً للعيانِ (النجّارُ والمِنضدةُ أو الطّاولة.../ الحدّاد ونُقوشُه البديعةُ/ الخزّاف ومِزهريّتُه أو تُحفته.../ الفلاّح وما يزرع ويغرس/ الأديب وما يؤلّف ويكتب/ العالِم وما يصوغه من نظريّات/ المخترع وما يأتيه من اكتشافات وابتكارات...) إنّه يقف أمامها مزهوّا ليقول: "ها أنا ذا موجودٌ، تشهد لي أعمالي وإنجازاتي بفِعْلِيّةِ ذلك الوجود".

فبالعمل وحده نبرهنُ عن انخراطنا في تيّارِ الحياة هازئين برهْبةِ المَمات ونحنُ نرى عملَنا يَرقى بنا إلى أعلى المراتب والدّرجاتِ، مِنْ خلال بصمةٍ ننحتُ بها على جدارِ الزّمن وأديمِ التّاريخِ وصفحة الأيّامِ أثرا بيّنا باقيا يشهد لِذاتٍ فاعلةٍ مؤثّرةٍ مرّت ذات سنين من هنا. ولك أن تقارن بين كائنات عاشت على هذا النّحو: فاعلةً مُنتجةً، وبين أخرى قضّتْ عِدادَ

أيّامها وشهورِها وأعوامِها غاطّةً في كُهوفِ التّهويمِ ودهاليزِ الخمولِ السّقيمِ وغياهبِ الاستكانةِ جالبةِ الصَّغارِ والمهانة، مُتردّيةً إلى مَهاوي الفراغ السّحيق الفجّ المَقيت، لا يمكن أن نقول في شأن هذه الفئة الثّانيةِ إلاّ أنّها أشبهُ بسرابٍ خُلّبٍ أو شبحٍ خادعٍ أو حلمٍ ضائع زائفٍ، وما يلبث خِضمُّ الوجود أن يطرحها في تجاويفِ النّسيان وفِجاجِ العدم.

*] العمل أنجعُ سُبلِ الإنسان في التّعبيرِ عن تميُّزِهِ بفضيلة العقل، وما حَبتْه به تلك النّعمةُ من مزايا الإدراك والوعي والحسِّ، وهيَ مداركُ راقيةٌ تحدوه إلى الحركة والسّعي في الأرضِ لسدّ الاحتياجات وتجاوُزِها إلى أوضاع الرّفاه والدَّعَةِ والمسرّاتِ. ولو تأمّلتَ حال الحيوان مثلا لَألفيتَه مُتحرّكا تحت سلطان الغريزةِ (الأسد لا يتحرّك للصّيد إلاّ تحت طائل الجوع)، فإذا أشبع إملاءاتِ الغريزة كفَّ عن طلبِ الأعمال والأشغال، غير مُفكّرٍ في الإنتاج والإضافة. بينما الإنسان يندفعُ إلى العمل والبذل لتلبية الاحتياجاتِ، ولكن أيضا لتطوير الواقع والمُضِيِّ قُدُمًا في سائرِ سُبُل الحياة، مِمّا آل إلى عطاءٍ وفيرٍ، وإنتاجٍ غزيرٍ فمَعاشٍ غضٍّ ناعمٍ يسيرٍ فأمّا الإقتصادُ فنما وربا، وأمّا الدّهرُ فَزها وحلا، وأمّا الضّيقُ والقَتَرُ فخبا وولّى فمضى. وبعد أن كان هاجِسُ الإنسان لِرِدْحٍ من الزّمن غيرِ هيّنٍ: "كيف أضمنُ البقاء"، ارتقى ذاك الهاجسُ بفضل العمل الخلاّقِ إلى تَساؤلٍ أكثر تطوُّرًا وتحضُّرًا مَدارُه اليوم: "كيفَ أُطوّرُ هذا البقاء". وكان العملُ هو الآلةُ السّحريّةُ، والأداةُ العجيبةُ الفعليّةُ الكفيلةُ بالإجابة عنْ ذلك الاستفهام، فكان الوسيلةَ والغايةَ في آنٍ، ليجدَ ابنُ آدمَ نفسه، بفضل ذلك، يُصيبُ غايتيْن بذات الحجر: فهاهو مِنْ جهةٍ يُطوّر حياته في المجالات جُلِّها، وهُو ذا من جهة أخرى يُلْفى عمله، في حدّ ذاته، ما يفتأ متناميًا متساميًا، حتّى لقد أصبح همُّه اليوم: "كيف أعمل" ألحَّ وأسبقَ مِنْ همّه: "لماذا أعملُ". وعليه عكف على أعماله، بمَزيّةِ العقل والوعي، يُهذّبها ويشذّبها ويطوّرها، حتّى بات العملُ كيانا قائم الذّاتِ يحيا ويتطوّر بتطوّر الأزمنة. وانظرْ أعمالَ الإنسان البدائيِّ تجدْها متأخّرةً نوعيّا عن أعمالِ نظيره في ما لحِق من حِقبٍ، فكلّما عمل الإنسان أكثرَ ارتقى في درجات الوعي والفهم والخبرة، فباتت أعمالُه أكثر جودة وإتقانا، بل إنّ ابنَ آدم العاقلَ الواعيَ ابتكر أنماطا من الأعمال تلتفتُ إلى كَوامِنه ومَواهبه وطاقاته النّفسيّة والذّهنيّة تُطوّرها

وتصقلها، ونقصد في ذلك الأعمال الفنيّة الإبداعيّة: (الرّسم والمسرح والموسيقى والتّمثيلُ والنّحتُ...) دون أن نغفل عن نَحْوِهِ (اتّجاهه) ببعض أعماله المعاشيّة الرّسميّة منحًى فنيّا إبداعيّا أيضا: (المعمارُ وفنونه/ الأدواتُ ونقوشُها: الأواني والمعدّات في صناعات الخزف والنّجارة والحِدادة/ الملابس والأثاث وما للإنسان فيها من لمساتِ جماليّةٍ←فنون الحياكة والنّسيج...)، ففضيلة العقل إذًا اهتدت إلى فضيلة العمل وآمنت به وتمسّكت، وطوّرته فتطوّرتْ هي في حدّ ذاتها، ومنه جعل كثير من الفلاسفة جوهر الإنسانِ وماهيتَه في العمل، فإذا رأت طائفة منهم (الفلاسفةَ) خصوصيّةَ الإنسان في لغته بِأنْ قالت إنّه " كائنٌ ناطق"، وإذا التفتت طائفة أخرى إلى ردود فعله الخاصّة المتفرّدة فقالت إنّه "كائن ضاحك"... فإنّ شِقّا هامّا من هؤلاء الفلاسفة قد حصر جوهره في كونه "كائنًا عاملاً"، وما آمن بفضيلة السّعي في الأرض إلاّ لكونه عاقلا.

*] العمل أرقى أشكالِ الوعيِ بمهمّة الاستخلاف في الأرض بمهابتها وجلالها ورِفْعة مقامها، فاللّه ما اختار ابن آدم دون سائر مخلوقاته خليفةً له في أرضه إلاّ لأنّه مُدركٌ بحكمته مدى قدرةِ هذا الكائن أكثر من غيره على استيعابِ الأبعاد المعتبَرَةِ ممّا نزّل في كتابه المجيد: "وقل اعملوا فسيرى اللّه عملكم ورسولُه والمؤمنون". فليس كالعملِ معمّرا للكون، وليس كمثيلِ له في إخراج مُحيطنا وواقعنا مِن القحطِ والجَدْبِ إلى الرّخاء والخِصْب، ومن العَدَميّةِ والخواء إلى الوفرة والامتلاء فالإكتفاء والرّخاء: (الحقلُ المُجدبُ لا يكلأُ ولا يُزهر إلاّ بالفلح، الخلاء والقَفْر لا يُعمَر إلاّ بالبناء والتّشييد والكدح، الصّحراءُ الخاليةُ والمَفازةُ الخاوية المَواتُ لا تغدوا واحةً غنّاء إلاّ بسواعد الكدّ والجدّ....) ولو تعقّلنا أسرارَ تَرَقّي البشريّةِ في سلّم الحضارة والتطوّر لوقفنا حتما على دور العمل في كلّ خطوةِ خطاها ابن آدم نحو تلك الذُّرى العَليّةِ الرّفيعةِ. ولو لم يتمسّكْ الإنسانُ بقيمةِ العملِ لما تقدّم خطوةً في أيّ مجال من مجالات الحياة: الفلاحة مصدر غذائنا ما كان لها أن تتطوّر إلاّ بالعمل، الصّناعة قديمُها (المحراث والفأس والمنجل...) وحديثها (الآلة الحاصدة والدّارسة، الجرّار...)، التّجارةُ أيضا (من تجارة الحبوب والتّوابل والحرير... إلى تجارة الآلات الإلكترونيّة والمعدّات التّكنولوجيّة العصريّة المتطوّرة...) وليس حالُ

الكونِ في أيّامنا هذه كحاله في غابر العصور، وحتما، لن يكون أمرُ البشريّة في قادم الأزمنة مماثلا لما نعيش عليه اليوم، كلّ ذلك ليس لصُدفٍ طرأتْ، أو لسحرٍ نفذَ، وإنّما لقدرة العمل على الخلقِ والابتكار والتّطوير. ولو استُخلِف غيرُ الإنسان في الكون لما آل أمرُه (هذا الكون) اليوم إلى ما هو عليه من تقدم وازدهار مأتاهما العمل والعلمُ، وما العلمُ إلاّ أرقى تجلّيات العملِ.

*] العمل يُشيعُ في حياة الفرد مشاعر الأُنسِ والسّعادةِ والرِّضوان والسُّلوانِ، فأوقاتُ القاعدين الرّاكنين الخاملين تمضي عليهم ثقيلةَ الوطْءِ كالدّهر ما له مثيلٌ في التّراخي والبُطْءِ (ثِقَل الجلاميد والأطواد، أو ثِقل الجبال الرّواسي...) رتيبةَ الملمَح كعَدّ موج البحر(أو كَمَن يروم النّحتَ على أديمِ الصّخر، أو كالمُدلج السّاري ينشد حصر حبّات الرّمل في الفيافي والصّحاري)، رغم كونهم لا يبذلون مجهودا ولا يُؤتون ثمرةً أو مردودا، ولكنْ، سلْهم عن طبيعة الشّعور الّذي ينتابهم كلّما تتالتْ أيّامُ جمودهم وأوقاتُ ركودهم يُحدّثوكَ بما يُضيّق عليهم معاشَهم مِن ضجر وكلالة وملالةِ مصدرها إحساسٌ بالفراغ، و:"الطّبيعةُ تكره الفراغ وتأنس بالامتلاء"، ولو كان المرامُ راحةً وقعودا في هذا الوجودِ، لَكانتِ السّجونُ ودهاليزُ الحبس والإيقافاتِ أروح مكانٍ وأفضل إقامةٍ. بيْد أنّها أمقتُ المَواضع عند بني البشر يزدرونها وينبذونها ازدراء الوليد ليوم الفِطامِ، ونبذَ الصّائم لمرْأى الطّعامِ. وفي مقابلِ ذلك إنّك لترى في الإنسان الفقيه بمعنى العمل كَلَفًا به وشغفًا يضاهي كلَفَ النِّيبِ بلقاء فِصالها، وشغف الكواسر بالمرتفع الباذخ من جبالها، ولو كان المشغل مرهقا متعبا، وتلك- لَعَمري- مفارقة عجيبةٌ غريبةٌ: فالقاعد المستكينُ شاعرٌ بالتّعب والإرهاق (خاصّة من النّاحية النّفسيّة وكذلك الجسديّة) ساخطٌ على الحياة متبرّمٌ بالوجود... في حين يغنم الكادّ الباذلُ السّاعي مشاعر الرّاحة والحيويّة والسّعادة، مُقبلا على الأيّام إقبالَ وَرعٍ تقيٍّ على فروضه يُؤدّيها، أوربّة بيتٍ شغوفٍ على أعمالها تُقضّيها. والسرّ في الأعمال ومُتعتِها، والأشغال ولذّتها طبعا، تُؤنسنا وتسلّينا، فنشعر أنّنا في انسجام مع الزّمن ووِفاقٍ مع الأيّام واللّيالي في مَسيلِها وجريانها، لأنّنا نستغلّ أوقاتنا في ما ينفع. ولو جازتِ العبارةُ لَعَدَلْنا بقول الشّاعر:"وخيرُ جليس في الزّمان كتاب" إلى قولٍ

جديد لا يقلّ حكمةً وحصافةً وسدادا مَفادُهُ: "وخير جليس في الزّمان نشاطٌ (أو كفاح)" (في معنى العمل طبعا). ولو نظرت إلى العمّال أغلبِهم، سيّما إذا كان المَشْغَلُ حِرفيّا يدويّا فيه لمسة فنٍّ ونَفْحةُ إمتاعِ وإبداع (فَلْحُ أرضٍ، تشييدُ صَرْحٍ، تصميم صناعةٍ في حِدادةٍ أو نجارةٍ أو حياكةٍ...) لَألفيتَهم غالبا ما يترنّمون باللّحون العذاب والنّغمات الطِّرابِ تعبيرا عمّا ملأتهم به أوقاتُ العمل من سعادة وسرورٍ، من متعة وحُبورٍ. ترى الفلاّح يقف مزهوّا أمام النّبتِ الّذي غرَسه والحَبّ الّذي زرعه، وتلمح العاملَ بالمصنع والورشة يتباهى فخورا بالآلة الّتي صنعها والأداة الّتي ابتكرها... فيقول: "هذه ثمرةُ عملي وعُصارةُ مجهودي تشهد بِفِعْلي ودوري في الحياة"، في حين تُلفي العاطلَ القاعد يائسا ونفسُه الحسيرةُ الكسيرةُ السّاخطةُ ما تفتأُ تُقرّعه في خَلواته الكئيبةِ الرّتيبة: "أنصتْ إلى جوفك الخاوي، وتأمّلْ يديْك العاجزتيْن المُرتعشتيْن ارتباكًا، بِمَ عساك تلقَى نُظراءك من بني جِلدتك...أ بأضغاثِ الأحلام أم بتهويمِ الكَرى وأخيلة الأوهامِ؟... تُمضي بياض نهارِك وسواد ليلِك غاطّا في سبات الموتى ورُقودِ الغابرين، في حين يصرف غيرُك العمرَ كدًّا وجِدًّا... أما سمعتَ إلى قول الشّاعر(القصيدة لأحمد رامي من "رباعيّات الخيّام" بتصرّفٍ لما يخدم العملَ

سمعتُ صوتًا هاتفًا فـــــــــي السّحَرْ --- نـــــــادى مِـــــــنَ الغــــــــيْبْ: "غُفاةَ البشرْ

هُبّـــوا انــــــــــشُــــدوا نَيـــــل المُنـــى --- قبل أنْ تقصِفَ كفُّ الــــــدّهرِ زهْرَ العُمُرْ"

لا تشغـــــــــــــلِ البالْ بِزيفِ الأمانــي --- فما سخيفُ العيشِ إلاّ في سُخْفِ الفِعالِ

ما أضْيعَ اليومَ الّذي قـــــأد مرّ بـــــي --- مـــــنِ دون أنْ أزرع فيـــــه أو أنْ أصنـــــعـــا

أفِـــــقْ نـــــقيَّ الـــــرّوحْ، لا لا تـــــنتظرْ --- تـــــغـــــنـــــمْ مِـــــن السّـــــعيِ غُـــــرَّ الـــــدُّررْ

فـــــــــما أطـــــــال النّـــــــومُ عمْـــــرا --- ولا قصّـــــر فـــــي الأعمار طولُ السهـــــرْ

TuniTests

أو قولُ أميرِ الشّعراء أحمد شوقي:

بفضْل الكدِّ تُكتَسَبُ المعالي --- ومَنْ طلب العُلا سهِر اللّيالي

أو قولُ شاعرِ الإرادة والحياة أبي القاسمِ الشابيِّ:

ألا انهضْ وسرْ في سبيلِ الحياةْ --- فـــــمَن نام لم تنتظرْه الحياةْ

أو قول شاعرٍ آخرَ:

زاحمْ فميدان الحياة زحامْ --- ولا تقعُدْ فإنّ القُعودَ حرامْ

*] العمل يرقى إلى مرتبة العبادة، بل إنّه أجلى ضُروبها وأنواعها، لاسيّما الصّلاةَ عمادَ الدّينِ، فالعمل عمادُ الحياة. ألسنا بما نأتيه من شعائرَ وطقوس نروم التقرّب من الخالقِ لنيل مَرضاته؟، فالغاية من إقبالنا على أعمالنا وواجباتنا اليوميّة هي نفسُها تقريبا غايةُ المتعبِّد المتبتّلِ من إقباله على صلواته ونُسُكِه وطقوسه (التّلميذ في إقباله على دراسته، الفلاّح في انكبابه على أعماله، التّاجر في مرابطته بدكّانه، العامل في مُكوثه بمصنعه أو إدارته...) فكلٌّ يُؤدّي ما كتبه له ربُّه من مُهمّةٍ يغنمُ بها أجرا وثوابا، ويكسب من خلالها رضوانَه وتوفيقه، وعندها يُصيبُ طريدتين بذات الحجر: (دنياه ودينَه). ولقد أشار إلى ذلك الأديب المصريّ محمود تيمور بقوله: "لقد غدا العمل عندي لونا من العبادة، فأنا

أعتقدُه وأَعتدُّه من شعائر الدّين. ما أشبه العملَ بالصّلاةِ! فما الصّلاةُ إلاّ تأمُّلٌ في صميم الوجودِ، وتَرَفُّعٌ عن تَوافه الدّنيا وصغائر العيشِ. وما العملُ إلاّ استغراقٌ في أعماق الحقائقِ وعُزوفٌ عن التّفاهة والفراغ. أنا في إقبالي على عملي الّذي أَتَوجّهُ إليه أُحسّ بأنّي أُصلّي للّه، وأُؤدّي ما كتبه عليَّ."

***] العملُ، لو علمنا، سبيلٌ لتخليد الذّات ومقاومة العدمِ بالمَمَات، فما مِن كائن إلاّ ويروم البقاءَ نابذًا الزّوالَ والفناءَ. وما مِن وسيلة ناجعة لبلوغ ذلك المأمل تضاهي العملَ وما يُؤتيه مِن ثمرةٍ طيّبةِ خالدةٍ تُحدّث عنّا بعد زوالنا، وتقول أنّنا فعلنا في الزّمن كما فعل هو فينا. فحفظْنا لِذواتنا ذِكْرًا حسنا في الجدار الّذي شِدناه، وفي الجسر الّذي مددناه، وفي الكتاب الّذي ألّفناه، وفي الاختراع الّذي أتيناه.... فهل خبا لِنارِ فيلسوفٍ أُوارٌ، وهل درسَ لعالِمٍ ومخترعٍ ومكتشفٍ رسمٌ أو دارٌ ، وهل خفِيَتِ لِعلاّمةٍ أو مفكّرٍ مآثرُ أو أسرارٌ... كلاّ ما كانَ لذلك أن يكون، وإنّما فنتْ منهم الأبدانُ والأجسامُ، في حين ظلّتْ شاهدةً لهم وعليهم أعمالُهم الجِسامُ (ابن خلدون ومقدّمته، طارق بن زياد وفتْحُه، أنشطاين ونظريّاته، عبّاس بن فرناس ومحاولاته في الطّيران....) فلا مالٌ بِباقٍ، ولا جسدٌ بدائمٍ، وإنّما حِرفُنا وأعمالنا وإنجازاتنا هي وحدها الخالدةُ الباقية تقاومُ صولة الزّمنِ وشدّةَ المِحَنِ، وجولةَ الأيّام وغائلة السّنين والأعوام. ولهذا قال أجدادنا بحكمتهم وبُعد نظرهم: "ينتهي مالُ الأجدادْ، ولا تبقى إلاّ صنعةُ الأيادْ نِعْمَ الذّخرُ للبنينِ والأحفادْ تستجلبُ الخيرَ وتكتسحُ دابر الكسادْ".**

***] العملُ سبيل الفرد للحريّة الأكمل والإرادة الأمثل، يقفُ ضامنًا للمصائر ومُفرّجًا لكُرَبِ المكلوم والمحروم والحائرِ في كلّ آنٍ وحينٍ: (جنّةُ الآخرةِ لا تُبلَغُ إلاّ بما أتيناه في دنيانا من عمل صالحٍ، النّجاح في الدّراسة بتفوّقٍ لا يُحصَّل إلاّ بمقدار الكدّ والجِدّ، إنتاجُ الحقل الوفيرُ لا يكون إلاّ بمقدار جهد الفلاّحِ...)، فيغدو الإنسانُ ضامنا إلى حدّ كبيرٍ لمآلاتِ وجوده بثمار مجهوده، في حدود ما أتاح له الخالقُ طبعا. عدا ذلك يُمسي أسيرَ الصّدفة تتحكّم في مصيره، فمَنْ يدري قد تنشقّ السّماءُ لتهطل عليه موائدَ طعام كلّما جاع،**

وقناطير من الذّهب والفضّة متى قُتِّر عليه فاغتمّ وارتاعَ ، وزوجةً صالحة وأبناءَ بَرَرَةً ومنزلا فخما حين يكون قطارُ العمر قد اِنقضى وضاع.... وانظرْ ما أودعه الخالقُ في نعمة العمل من قوّةٍ خلاّقةٍ تجعلنا نملكُ نواصينا بأيدينا، ونسطّر مسيرنا ومصيرنا بمحض إرادتنا، وليس في ذلك أيُّ معنًى من معاني تحدّي قدرة الخالق، إذْ هو بجلاله مَن أسبغَ على العمل تلك الطّاقة الخلاّقة، تشحذ الإنسانَ بالإرادة القاهرةِ للمستحيل، أليس الحديث النبويّ قائلا: "لو تعلّقتْ همّةُ المرء بما وراء العرش لَناله"، وهل أبلغُ مُرادًا للمرء من التطلُّع إلى ما وراء العرش؟. كما أنّه بالعملِ نتخلّص مْن سطوة الطّبيعة وسيطرتِها على وجودنا. فهي أبدًا لا تفتح لنا خزائنها يسيرةً هيّنةً، وإنّما تتكتّم عليها وتتأبّى الجود بها على البشريّة (الماء مصدر الحياة في باطن الأرض لا نبلغه إلاّ بالنّبش والحفر، مصادر الطّاقة والمعادنُ الثّمينةُ لا تُستَخرَج إلاّ بمجهود مُضنٍ، بِقاعُ الأرض وجهاتُها الأربعُ مشتَّتةٌ متناثرة، ولا اجتماع لأوصالها إلاّ بِحِيلٍ وابتكاراتٍ تقهر عوائق الطّبيعة: إقامة الجسور والمسالك والمعابر والأنفاق والسّكك والمجالات الجويّة والبحريّة...)، فكأنّما إرادة الخالق تريد اختبار حقيقة الإنسان، بأن أودع خيراتِه في خبايا طبيعته، وجعلها مستعصيةً على المنالِ، فلا تُبلَغُ إلاّ بمطيّة العمل وسلاحه الجبّار. وأكثر الأمم تقدّما دوما هي تلك الّتي توصّلتْ إلى أنجع الابتكارات وأفضل الاختراعات لترويض الطّبيعة الجامحة باستمرار.

✔ ماديّا:

*] العملُ يَعْمُر جيوبَنا ومنازلَنا خيرا كثيرا وعطاءً وفيرا، فَنَرْفُل في النّعيم والرّخاء، وننأى بأنفسنا عن مَذلّةِ السّؤالِ ومَهانة الِاستجداء لفقرٍ وعَوَزٍ وقَتَرٍ في الأحوالِ. إنّه اليُنبوع الذّي يفيض علينا سَعَةً ورفاهًا، حتّى أنّ المفكّر الفرنسيّ "فولتير" قال في شأنه: "العمل يُجنّبنا ثلاثةَ شرورٍ: السّأمَ والرّذيلةَ والحاجةَ"، وآخرُ الآفات مدار اهتمامنا، بما أنّه تطرُّقٌ إلى فضل العملِ بِتجْنيبنا الاحتياجَ والفقرَ والخصاصةَ، بفضل ما يدرّه علينا من دخلٍ يسدّ مطالب حياتنا ماديّا، ويقف معنويّا درعا حصينا بيننا وبين ويلاتِ التوسّل

بالتسوّل، وهو ما يستنكف منه العربيُّ ذو الأَنَفَةِ والكبرياء والعزّةِ، يحيا بكرامته ولكرامته، ولهذا شاع بين أسلافنا من العربِ الخُلَّص القول المأثور:"اليد العليا خيرٌ من اليد السّفلى"، بما معناه أنّ اليد المُنتجة المليئةَ المُنعمةَ أفضل دوما من اليد المُحتاجة الآخذة المستهلكة. وهناك مثلٌ آخر في سياقٍ قريبٍ من هذا، وهو: "تجوع الحرّةُ ولا تأكلُ مِن ثديَيْها"، في ما معناهُ: أنّ المرأةَ العربيّةَ الأصيلة الخالصةَ الكريمةَ إذا فقدتْ عائلَها المُنفق عليها وعلى عيالها لا ترضى لها ولِبَنيها أن يقتاتوا على ما يمسّ بالشّرفِ والعِرْض، بل قد تُفضّل الجوع والسّغبَ ما لم تكنْ سبيلُ القوتِ شريفةً مأتاها العملُ والكدّ، فإذا كان هذا شأنَ المرأةِ الضّعيفة العاجزة في عهودٍ خَلَتْ من ثقافتنا، فكيف يكون دأبُ الرّجل ربِّ الأسرةِ والمُنفقِ عليها.

***] نحن اليوم في عصر غلاء المعيشة وتضاعف متطلّبات الحياة (نفقات الأبناء من غذاء ودواء ومشرب ودراسة وكساء، نفقات المواسم والأعياد، وسائر المناسبات بأفراحها وأتراحها، نفقات المعاش اليوميّ من ديون ماء وكهرباء وإنترنيت وغاز وهاتف تنتظر السّداد، نفقات السيّارة، نفقات تشييد المسكن أو الكراء، نفقات الإصطياف والتّرفيه....) وإزاء كلّ هذا ليس سوى العمل سندا ورافدا نعوّل عليه لسدّ هذا السيل الجارف من متطلّبات النّفقات وشطط المعيشة وغلاء تكاليف الحياة.**

***] بالعمل تكتسب الأجسامُ طاقتها، وتتحصّنُ الأجساد من العلل والأسقام. فالشُّغل داعيةُ الحركةِ، والحركةُ قرينُ النّشاطِ، والنّشاطُ ضامنةُ الطّاقة، والطّاقةُ حصانَةُ الأبدان، وعليه كان السّعيُ في الأرض رياضة للجسد، به يتخلّص من أدرانه وشوائبه وأسقامه وعلله، بِأنْ تسريَ الدّماءُ حثيثة في شرايينه وأوعِيته. ولو تأمّلتَ أجساد العاملين الحَركيّين لألفيتَها أكثر متانةً ومناعة من أجساد الخاملين الرّاكدين. وكلُّ متحرّكٍ في الوجود أفضلُ وأصحّ من الرّاكد الجامد المستكينِ الخامل. فاليومُ المتحرّكةُ أنسامُه أطيب من ذاك المحتبسِ هواؤه. والشّخص المرحُ الحركيّ المتفاعل مع الآخرين آنسُ من ذلك المنطوي على نفسه المنغلق على ذاته. والماء الجاري السّائل ألذُّ دوما من الماء الرّاكد السّاكن.**

ولقد اتخذ أسلافُنا من الحركة قانون الحياة الأكمل الأمثل الأفضل، ويلخّص ذلك قول الإمام الشّافعيّ معتمدا الماء أفضل مثالٍ لِمزايا الحركة وعميم فوائدها:

إنّي رأيتُ ركود الماء يُفسدُهُ --- إنْ سالَ طابَ وإنْ لم يسْرِ لم يَطِبِ

إذا كان العملُ قيمةً إنسانيّةً تنهض بالفرد في بُعديْه الظّاهرِ النّفعيِّ الماديِّ، والباطنِ النفسيِّ المعنويِّ، فإنّه بالضّرورة ناهضٌ بالمجتمع برُمّتِهِ:

❖ بالنّسبة إلى المجتمع:

***] مجتمعٌ يقوم على أفرادٍ دأْبُهم العملُ وديدَنُهم الكدّ والجدّ، آخذٌ بأسباب التّوازن والتكامل، فيرقى صُعُدًا في سُلّمِ التطوّر والتقدّم والمجد، لأنّ أواصرَه حتما ستكون وثيقةً وروابطَهُ أبدًا ستظلّ متينةً، كيف لا والجميع فيه مُتّجهٌ إلى الإنتاج والفعْل والإضافة، كلٌّ مِن موقعه، أيْ من خلالِ المهامّ الموكلةِ إليه: فهذا حِرَفيٌّ يبدع، وذاك عاملٌ يصنعُ، وتلك موظَّفَةٌ تنفعُ، والآخرُ فلاّح يزرع ويجمع... وهكذا تمضي السّلسلةُ متواصلةً متفاعلةً لا يشوبُ تكامُلَها خللٌ ولا يعتري توازُنَها زللٌ، وقد تخلّص النّسيجُ البديعُ المنسجم مِنْ تلك الطّفيليّاتِ الّتي تعتاش على مجهود غيرها، وتترعرعُ من عرقِ ذَوِي البذلِ والعطاءِ. وانظرْ تلك التّجاربَ الماثلةَ للعِيان اليومَ، تحدّثْكَ عن دولٍ كانت لِعهودٍ قريبةٍ تُصنَّف ضمن خانةِ الأمم العاجزة اقتصاديّا المتخلّفة اجتماعيّا... فإذا بها في غضون عقودٍ معدوداتٍ تمسي من مصافّ الدول المتقدّمة المتطوّرة، ولعلّنا نقصد بالأساس الصّين واليابان وكوريا الجنوبيّة ومَن حذا حِذوها ولفّ لفّها. هي أممٌ آمنت بأنّ العملَ هو أساس النّهضة والنّماء فتفانى أبناؤها في البذل والعطاء يشتغلون باللّيل والأسحار شُغْلَهم بساعات الدّوام من النّهار، فَسِيّانِ عندهم الثّواني واللّحظات أو الدّقائق والسّاعات، يصرفونها تفانيا لا توانيا، ويُنفقونها في ما ينفع ويرفع، لا في ما يحطّ ويُخضع. اِختاروا العمل سلاحا**

لمقاومة التخلّف والتّقهقر والتردّي، فكأنّما استخلصوا العبرةَ المرتجاةَ من قول شاعرنا العربيّ:

دعْ ما يَشينُكَ والْتَمِسْ ما ينفعُ --- واخترْ لِنفسِكَ ما يَزينُ ويرفعُ

*] العمل يظلّ دِرْعَ المجتمعاتِ الأوّلَ في التوقّي من الآفات وعوامل التصدّع والأزمات الّتي عادةً ما تشدّها إلى مَهاوي التّقهقر والاِندحار شدًّا، وتردّها عن سُبُل النّهضة ردًّا، أليس بِتنامي عدد العمّال تتراجع نِسَب البطالة وتتقلّص المشاكل من تسكّعٍ في غير ما مشغل، وما قد ينجُم عنه من آفة الفقر الّذي كاد أن يكون كفرا، لما يغشى المجتمعَ بسببه من كِدْيةٍ وتسوّل وتشرّدٍ، تشوّه صّورتَه وتكدّر صفو المعاش فيه، وتهدّد استقرار أبنائه الكادحين وأمنهم. فالقاعدون الرّاكدون الرّاكنون ممَّن لا شغل لهم ولا مشغلَ لا يتوانُون لحظةً عن الخطف والنّهب ، عن السّطو والسّلب وسائر أشكال الاعتداءات، حتّى يوفّروا ما به يسدّون اِحتياجاتٍ أدمنوا تعاطيها، بحكم الفراغ المقيت، فأمستْ دينهم الجديد، مِن تدخين وخمر ومخدّرات وقمار... وكثيرا ما يتطوّر الأمرُ إلى جرائم خطيرة تنشر الهلع والفزع في نفوس العباد، ولا مِراء في أنّ المجتمعات الّتي ترتفع بها نِسَب الجريمة والانحراف هي غالبا تلك الّتي ترتفع بها مؤشّرات البطالة. ولنا أن نأخذ دولةً مثل سويسرا أُنموذجًا نتأمّلُه ونتدبّرُه، فحين انخفضت نسبة البطالة فيها إلى أقلّ من ثلاثة في المائة(3%) أمكن لمُؤشّراتٍ أخرى أن تتحسّن و تتطوّر بدورها إلى مستويات قياسيّة مازالت عند شعوبٍ متخبِّطةٍ في مَهاوي البطالة السّحيقة ضربا مِن الخيال ولونا من المُحال: في سويسرا تصل نسبة الفئات المنتِجة إلى ما يفوق التّسعين بالمائة، وتنخفض مستويات التسوُّل حتّى لَتكاد تنعدم اِنعداما.

*] العمل آصرةُ التّرابطِ، وعُروةُ التّماسك بين الأجيال، به تضمن المجتمعاتُ تواصلَ أسلافِها بأخلافِها. وهذا مغزى القول المأثور: "زرعوا فأكلنا، ونزرع فيأكلون"، فكم من حرفةٍ ظلّتْ شاهدا على أجدادٍ ولّوْا ومضوْا، تُحَدّثُ عن إبداعهم وعجيبِ براعة أيديهم (صناعة الخزف، حياكة الملابس التّقليديّة وفنّ تطريزها، فنون المعمار القديم وزخارفه،

فنّ النّقش على الخشب والحديد...) كلّها حِرَفٌ ما نفتأ نحرص على تعلُّمها مِن أربابها المتقدّمين، لأنّ فيها بعدا حضاريّا إنسانيّا يتعلّق بصيانة الهويّة والتمسّك بمعالم الأصالة، هذا، إلى دورها الاقتصاديّ الماديّ طبعا، فهي تدرّ أموالا كبيرة تعود بالنّفع على المجتمع، لا سيّما أنّها قِبلةُ السّيّاح يجدون فيها تحفا فريدة وقِطعا نادرة فقيدة.

***] العمل يخلّد مآثر الأمم، ويمجّد ذكرى مَن كان له إسهام في بناء صرح حضارتها، ألم تخلّدْ الأهرامات حضارة فرعونيّة تليدة؟ والمسارح الرّومانيّة ألم ترسّخْ ذكْرَ إنجازات الرّوم العتيدة ؟ وعمل المسلمين من طابع معماريّ فريد في الأندلس، ألم يبق دليلا على قدرة اليد البشريّة تخلّد الذّكر وتحفظ الأثرَ؟**

***] العمل يظلّ من أجلى سبل تفاعل الثّقافات وتلاقح الحضارات، أليس بفضله تتوطّد العُرى والرّوابط بين الشّرق والغرب على سبيل المثال. فطاقاتنا العاملة وأيادينا المنتِجة هي الّتي مثّلت اِحتياجا ملحّا قامت عليه دعائم الاِقتصاد الغربيّ، ولو نظرت كثيرا من دولِ ما وراء البحر اليوم لوجدتَ منظومةَ إنتاجها لا يمكن أن تسير دون يدٍ عاملة وافدةٍ عليها منّا تُسيّر مصانعها وشركاتِها وتُحرّك معاملها ومُنشآتها. وفي المقابل نحن بدورنا نَدين لهؤلاء الأقوام بمساهمة فعّالة في بناء حضارتنا ومعالم حداثتنا، فما تبدعه أيادي عمّالهم وعقول مخترعيهم من آلات ومُعدّات وأجهزة وأدوات هو ما يضمن لحياتنا اليوم نسق التّنامي والاِطّراد لنواكب العصر ونُجاري مستوى التحضّر والتمدّن .**

وقد يُنظَر إلى مسألة التفاعل بين الأمم بفضل العمل من زاوية أخرى لا تقلّ أهميّة عن الأولى، فما يُسهّل التّواصل بين حضارة وحضارة، وبين جيل وآخر، وبين حقبة تاريخيّة وتابعتِها هو منجزات البشريّة من الأعمال. فالمسلمون في فتوحاتهم لمشارق الأرض ومغاربها قد قاوَموا عقيدة فاسدة، بيد أنّهم لم ينسفوا ما وجدوه في حضارة تلك الأمم من صرح أعمال مُشيّدَة شامخة، وخبرات خلاّقة في سبل الكسب والإنتاج على جميع الأصعدة، فهم أهل صحراء وبوادي قاحلة، ولهذا اِستفادوا مثلا من طرق الفرنجة في ركوب البحار وصناعة السّفن، وممارسة أساليب الصيّد في مجال حيويّ جديد عليهم

وليست لديهم فيه خبرة هو البحر. والأمر نفسه بالنّسبة إلى سائر الأمم الأخرى في اِحتكاكهم بالعرب المسلمين، إذْ مثّل العمل أداة تفاعل مع خصوصيّاتنا الثّقافيّة والحضاريّة، فتعلّموا عنّا فنون المعمار المميّزة لهويّتنا ترى معالمه جليّةً ناطقة في المساجد والجوامع خاصّة، وهو عمل يمثّل ميسما خاصّا بنا أفاد منه الآخر. ولا ننسى ما أخذته الأمم عن الفراعنة من طرائق عملهم في إقامة الصّروح الهائلة وتشييد المباني العظيمة العملاقة، من خلال ما تركته أيادي عمّالهم من أهرامات فريدة نادرة قامت على مبادئها أسس الهندسة المعماريّة الإنسانيّة الكونيّة.

ويظلّ العمل جسر تواصل ثقافيّ وتحاور حضاريّ بما خلقه من وحدة وانسجام وتماثل بين الأمم في كلّ أصقاع المعمورة. ولك أن تنظر في نسق تسيير الأشغال اليوميّة للبشريّة اليوم (حصص العمل اليوميّة) وفي عدد ساعات العمل، وفي نظام المراوحة بين الدّوام والعطل، وفي القوانين الضّابطة لحياة المهنيّين... إذا نظرت في كلّ هذا ألفيتَ تناظرا كبيرا وتجانسا جليّا بين الدّول والبلدان في إرساء منظومة العمل والحرص على ضمان مجراها السّليم المتوازن، لأنّ عليها مدار التقدّم والتطوّر والنّهضة. وليس أبرز دليلا من تلك الوحدة الكونيّة الّتي أثمرها العمل في اِتّخاذ البشريّة لذات اليوم (غرةّ ماي من كلّ سنة) مناسبة كونيّة للاِحتفال بالعمل والعمّال.

ولو تأمّلنا الواقع المعيش اليوميّ لأيّ مجموعة بشريّة لوجدناها مرتبطة في كثير من سبل معاشها بسائر المجتمعات الإنسانيّة الأخرى، من خلال ما يروج في الأسواق من منتوجات كونيّة هي ثمرة إنجارات العمّال في كلّ مجال: (المواد الغذائيّة، الملابس، الأثاث والمعدّات، الأجهزة والآلات...)، وعليه نقف على حقيقةِ أهميّة العمل في مدّ جسور التواصل والتفاعل بين الأمم في كلّ أرجاء المعمورة، خاصّة بفضل تطوّر وسائل النّقل والاِتّصال، حتّى بتنا اليوم نتحدّث عن "القرية المِهنيّة الكونيّة".

2/ مخاطر البطالة:

يقول المثل: "بضدّها تتبيّن الأشياءُ"، فالخير يزدادُ وضوحا بذكر نقيضه الأزليّ "الشرّ"، والبياض يتجلّى مفهومه ومعناه أكثر بمقارنته بالسّواد، والسّلم تجلو قيمه وتبرز بطرح مساوئ الحرب... وبناءً عليه، قد نزداد فهما لأهميّة العمل وأبعاده السّامية إذا عرّجنا على البطالة بإبراز مخاطرها على مستوى الفرد فالمجتمع:

أ- على مستوى الفرد:

***] إذا كان العمل بناءً للشخصيّة وتأسيسا للكيان وفرضا للذّات...فإنّ البطالة نسفٌ لكلّ تلك الخصال والمَلَكات، بما هي طمسٌ لمعالم الشخصيّة ونسفٌ للكيان وتقزيم للذّات بين الآخرين. فالفرد الخامل الرّاكن يظلّ عالة على غيره ينتظر أن يسدّ الآخرون طلباتِه ويلبّوا اِحتياجاته، فيكون الشّعور بالعجز والقصور وضآلة الشّأن نصيبَه، ولهذا ترى العيون ترمقه بنظرات الاِحتقار والاِزدراء، وكلّ النّفوس تتجافاه وتتحاشاه وتتبرّم منه.**

***] البطالة رديفُ السّكون، والسّكون صِنوُ الموت ، والموت صورة الفناء المثلى. وبالتّالي مَن أسلم العنان لحياة القعود والرّكود فقد حكم على نفسه بالعدم، فكان ماثلا غير منظور، وميّتا غير مقبور. ولهذا شاع في شأن العاطلين الجامدين الخاملين أنّهم أشبه بنبت طفيليّ يحيا على مصادر غذاء غيره. ولأسلافنا أقوال حكيمة في شأن هؤلاء السّاكنين وأشهرها: "التواني هلكة، والكسل شؤم، وكلب طائف خير من أسد رابض"**

***] البطالة لا تكاد تذَرُ مزيّةً إنسانيّةً في الكائن البشريّ إلاّ دمّرتها: تُصيب الجسدَ آلةَ المعاش ومطيّتَه، بالرّكود والاِنحلال حتّى يمسيَ صاحبُه كتلةً جوفاءَ وهامَةً مُفرغَة من الحياة خرساء. وتَغشَى العقلَ بالخمول فيتكلّس ويتبلّد ويغدو عاطلا عن الحسّ والوعي والفهم. وتأتي على سائر المدارك الإنسانيّة الرّاقية كالإرداة والعزيمة فإنّها تُبيدهما، أمّا المشاعر النّبيلة والأحاسيس المهذّبَة والجوارح الإنسيّة الفريدة فتُشوّهها وتمسخها حتّى ينزح الكائن البشريُّ عن أصل طباعه ويغدو ذاتا فاقدة للهويّة والملامح البشريّة. ولهذا**

Www.tunitests.tn

ترى العاطلين يأتون أفعالا غريبة عجيبة مريبة ما أنزل اللّه بها من سلطان، كَسَلْب المتاع والعتاد وترويع الخلق والعباد بالسّطو المسلّح، وتراهم لا يتورّعون في كثير من الأحيان عن التّشويه والقتل، وكلّ ذلك لإشباع طلبات النّفس الحيوانيّة الخسيسة (شهوة جنسيّة، شهوة ماديّة: مال أو مصوغ أو هاتف...)

***] الفرد المُؤْثِر للقعود مُجانبٌ لتعاليم ديننا الإسلاميّ الحاثِّ على الحركة والسّعي في دروب الأرض لكسب الرّزق، فإذا كان الحيوانُ غيرُ العاقلِ يكِدّ ويجِدّ لتوفير القوتِ (النّملة وما يُروى عنها من النّشاط، والنّحلة كذلك، والحمارأيضا...) فكيف سيقبل الخالقُ بحكمته وعدله، مِمَّنْ وُهِب التّمييزَ والوعيَ أن يقضّيَ العمرَ مستهلكا لا مُنتِجا، وساكنا لا فاعلا، وآخذاً لا مانحًا. ولنا في هذا الصّدد قولةٌ من مأثورنا الدينيّ تدعم هذا الرّأيَ، وفحواها: "إنّ اللّهَ يكره العبدَ البطّالَ"، وقديما قال أسلافنا في ذات المقصد: "اليدُ الفارغةُ يدٌ نَتِنَةٌ"، كما قالوا كذلك: "مَن لم يحترفْ لم يعْتلِفْ". وليس هناك مِن شريعةٍ في هذا الوجود إلاّ وتزدري كلَّ عازفٍ عن العمل زاهدٍ فيه.**

ب- على مستوى المجتمع:

***] البطالةُ تنسف كيان الفرد، والفرد نواة المجتمعِ، بالتّالي هي علّةُ دمارٍ وإهلاكٍ لهذا الأخير. فهي تُهدّد النّسيج الاِجتماعيَّ المتضافرَ المتلاحم لِتُدخلَ مظاهر الاِختلال على العلاقات بين أبناء المجتمع الواحد، فكيف سيتوازن كيانُ أمّةٍ فئةٌ منها تكدحُ وتتفانى وفئة أخرى تستهلك وتتوانى. إنّ هذه الثّانيةَ ستؤثّر سلبا لا محالةَ على مردود الأولى، فيكون الوضع أشبهَ بجدارٍ بين طرفين متقابلين: واحد يبني والثّاني يهدم، وبهذا لن يُكتَب له التّمامُ والاِكتمال، وعلى ذلك فلْنَقِسْ حال المجتمع، فالعاملون هم البُناةُ، والعاطلون هم الهدَمةُ.**

***] البطالة شرّ البلايا وأمّ الآفات والخطايا، إذا تفشّت في مجتمعٍ نهشتْ أركانه وصدّعت أوصاله وبنيانه. أليست هي مَنشأُ الهِنات السّلوكيّة والنّقائص الأخلاقيّة، ومبعث الآثام الاِجتماعيّة الإنسانيّة. تُهدّد نعمة الأمن في الأمم، لتُرسيَ محلّها نقمة الخوف والفزع**

والهواجس والجزع. فالقاعدون دون عملٍ تائهون عن أبوابِ الكسب وسبُل الإنتاج، فكون العجزُ عن سدّ الإحتياجات وتلبية الطلبات مآلَهم ونصيبَهم، وحِيالَ ذلك، لا يكون أمامهم من وسيلة لِتلْبية رغائبهم إلاّ السّرقة والسّلب النّهب، وكلُّ الطّرق مباحة عندهم للظّفر بما يرومون وينشدون، سواء أكانت ترهيبا أو تعنيفا أو حتّى قتلا. ولنا في محطّات الحافلات اليوم وعربات المترو حوادث أليمة وجرائم مريعة ذهب ضحيّتها أشخاصٌ لا ذنبَ لهم إلاّ أنّ الأقدار اللّعينة وضعتهم في طريقِ عاطلين هائجين متوحّشين يطلبون متاعهم (مال، هاتف، مصوغ...) لقمة جاهزةً سائغة. ولا ننسى أنّ آفة البطالة تُسقط صاحبها في الشّعور بالفراغ والخواء، ممّا يضطرّه إلى البحث عن عادات مُشينة تجعل منه عنصرا خطيرا على مجتمعه، كتعاطي المخدّرات ومعاقرة الخمرة، وحينها تغدو ردود أفعاله عدوانيّة لا تنشد غيرَ الأذى.

*] البطالة عاملٌ أساسيّ في تدهور اِقتصاد البلدان وتراجع مؤشّرات نموّها. فكلّما تنامت مستوياتها تخبّط المجتمع في الأزمات والمشكلات، وخير شاهد واقعيّ ملموس ما تعيشه بلادُنا اليوم من تدهور اِقتصاديّ يُرجعه كلُّ المحلّلين والخبراء إلى تفشّي ظاهرة البطالة وتصاعد أرقامها. وفي المقابل كلّما تراجعت نِسَبها تخلّص المجتمع من مشاكله وازدهرت أوضاعه. وانظرْ الدّول الّتي تضاءلت بها مؤشّرات هذه الآفة إلى أرقام ضئيلة تجذْها في قمّة سلّم التطوّر والنّماء (دولة مثل سويسرا تراجعت نسبة البطالة فيها إلى أقلّ من 3 في المائة فباتت من أرقى الدّول اِقتصاديّا وسياسيّا وحضاريّا.

3/ صياغة مواضيعَ تتلاءم والهدفَ الأوّلَ:

الموضوع الأوّل: (يتعلّق بفكرة العزوف عن العمل مطلقا والتعالي عنه بحجّة الجاه والثّراء)

- جمَعكَ بأحدِ الشبّان الأثرياء نقاشٌ حول العمل ومنزلته في الحياة، فألفيتَه يُكنّ له اِزدراءً واحتقارا، حاسبا أنّ ثروةَ والده وجاهَ أسرتِه يُغنيانه عن أيّ كدٍّ وجدٍّ. فتناقشتَ معه في

الموضوع عساك تقتنعه بأهميّة العمل بالنّسبة إلى الفرد والمجتمع، منبّها إيّاه إلى مخاطر البطالة.

- انقل ما دار بينكما، مبرزا حججَ كلِّ طرف في دعم موقفه.

ب- الموضوع الثّاني: (يتعلّق بفكرة التعالي عن بعض الأعمال من قبيل الحِرف والمهن اليدويّة البسيطة)

- مررتَ وصديقَك بفريقٍ من العمّالِ منكبّين على اِكتساح النّفايات، فأبدى اِحتقارا لشأنهم، معتبرا هذه المهنة وما شابهها مجلبةً للمهانة والوضاعة، فكان لك ردٌّ تتكفّل من خلاله بِلَوْمه على مثل هذا التّفكير، مؤكّدا شَرَف كلِّ الأعمالِ ونُبْلَها، لما تعود به على الفرد والمجتمع من نفعٍ عميمٍ.

- انقل ما جمعك بهذا الصّديق، مركّزا على حججك في دعم وجهة نظرك.

II- الهدف الثّاني: ضرورة اِرتباط العمل بالأخلاق:

كأيّ قيمةٍ إنسانيّةٍ، لا يمكن للعمل أن يستكمل شروط نجاحه ونجاعته إلاّ بتوفّر البعد الأخلاقيّ. خاصّة إذا وضعنا في الاِعتبار ما أولاه ديننُا الحنيفُ لهذه المسألة (الأخلاق) من قيمةٍ، ألم يقل رسولنا: "إنّما بُعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق"، ولهذا لا تَمامَ لعلمٍ عندنا إلاّ بالأخلاق، ولا صلاحَ لفنٍّ أو فلسفة أو معاملاتٍ سوى بحضورِها... ولمّا كان العمل جِماعًا لها كلَّها تأسّس بالضّرورة على الأخلاق. وهناك عموما وضعيّتان قادحتان على الحجاج في هذا الهدف، فإمّا:

أن يكون الخللُ الأخلاقيُّ من جهةِ العامل المؤدّي للمهمّة، باعتماد التواني والتّهاون في آداء الواجب المَنوط بِعُهدتِه.

وإمّا:

أن يكون الخلل الأخلاقيّ من جهة المؤجِّر الموظِّف، باعتماد أشكال الاِمتهان والاِستغلال والتعسّف في التعاطي مع الأجير.

1- صياغةُ مواضيعَ تتلاءمُ والتوجّهيْن المذكوريْن:

أ/ طائفة من المواضيع المتناسبة مع التوجُّه الأوّل: (الخلل الأخلاقيّ من جهة العامل)

- الموضوع "أ":

- خرج صديقُك من الاِمتحانِ متباهيًا بتمكُّنه من تمرير غشّه على المراقب، وقد رأى في تصرُّفه علامةَ فطنةٍ وذّكاءٍ ومُسايرةٍ لما هو شائعٌ رائجٌ، مبرّرا تصرُّفه بكثرة الدّروس ووُقوعِه تحت طائلِ مشاكلَ متنوّعةٍ. فتدخّلتَ لتلومه على هذا المذهب في آداء العمل، مبرزا ما للغشّ في الواجب الدراسيّ خصوصا وسائر الأعمال عموما من نتائج سيّئة على الفرد والمجتمع.

- انقل ما دار بينكما، مبرزا حججَ كلِّ طرفٍ في دعم موقفه.

-الموضوع "ب":

- اِستقدمَ والدُك عاملَ بِناءٍ لاستكمال بقيّةِ أشغالٍ بمنزلكم، فلاحظتَ أنّه يعمد إلى التواني والكسلِ إذا غابتْ عنه عينُ الرّقيبِ. فاغتنمتَ فرصةً لتلومه على هذا السّلوك المهنيّ، بيد أنّه تعلّل بالصّيام والحرّ والتّعبِ ليبرّرَ تخاذلَه وتهاونه. لهذا تدخّلتَ لتُذكّره بضرورة اِرتباط العمل بالإخلاص والتفاني، مبرزا ما للغشّ فيه من نتائج سلبيّة على الفرد والمجتمع.

- انقل ما دار بينكما، مبرزا حججَ كلِّ طرفٍ في دعم موقفه.

- الموضوع"ج":

- قصدتَ إِحدى المؤسّسات العموميّة للحصول على وثيقة، ولكنّ الموظَّف سلّمك إيّاها بطريقة غير لائقة، متعلّلا بالغضب والتوتّر، وزاعما أنْ لا دخل لك في حاله و مزاجه مادام قد قضى حاجتك. فنقدتَ هذا السّلوك فيه، مذكّرا إيّاه بأنّ وظيفتَه لا تكتمل إلاّ بتحلّيه بالأخلاق، مبرزا ما لذلك من دورٍ في إضفاء النّجاعة على أعمالنا، من أجلِ توطيدِ العلاقاتِ بين أفراد المجتمع.

انقل ما دار بينكما، مركّزا على حججك في دعم موقفك.

ب/ طائفة من المواضيع المتناسبة مع التوجُّه الثّاني: (الخلل الأخلاقيّ من جهة المؤجِّر)

- الموضوع "أ":

إِستقدم والدُك عامل بناءٍ لاستكمال أشغالٍ بمنزلكم، وكلّف أخاك بالإشراف عليه في غيابه. فلاحظتَ أنّ هذا الأخيرَ يعمدُ إلى إذلالِ ذلك العاملِ وإهانته بشتّى الطّرق، متعلّلا بأنّ المؤجّر هو دوما صاحب الفضل على الأجير، لذا يجوز له أن يتعاطى معه بأيّة طريقة شاء. فتصدّيتَ لأخيك لتكشف له وجوهَ الخطإ في تصرُّفه، مُذّكرًا إيّاه بضرورة اِلتزام المبادئ الأخلاقيّة والقيم الإنسانيّة في التّعامل مع الأُجراءِ، لِما لِذلك من فوائد عميمةٍ على جميع الأطراف.

- انقلْ ما دار بينك بين أخيكَ، مبرزا حججكَ في دعمِ وجهةِ نظرِكَ.

- الموضوع "ب":

تابعتَ وصديقَكَ شريطا وثائقيّا عن ظروف العمّال القاسية في المصانع الكبرى والشّركات الضّخمة، لِما يتعرّضون له من أشكال اِستغلال وتعسُّف، فأَلفيتَه يستحسنُ هذا النّهجَ في التّعامل معهم، مبرّرا منظورَه بالفضْل المُطلق للمؤجّر على الأجيرِ، وحقِّ الموظّف الشرعيّ في مضاعفةِ الإنتاج وكسْب مزيدٍ من الأرباح. فتصدّيتَ لمنطق تفكيرِه المختلّ، كاشفًا مساوئ اِستغلالِ العاملِ أخلاقيّا ودينيًّا، مذكّرا إيّاه بضرورةِ اِحترام حقوقه الماديّة والمعنويّة.

- انقلْ ما دار بينكما، مركّزًا على حججِك في الدّفاع عن موقفكَ.

- الموضوع "ج" :

- أثناءَ مسيرِك رفقةَ أحدِ الأصدقاء، اِعترضتْ سبيلكما مظاهرة لحشدٍ من العمّال يطالبون بتحسين أوضاعهم المهنيّة، فرأى مُرافقُك في اِحتجاجهم جشعا وتمرّدا على مؤجّريهم أصحابِ الفضل عليهم، معتبِرًا العمّالَ فئةً لا تملك أيّة حقوقٍ. فتناقشتَ معه في الموضوعِ عساكَ تنبّهه إلى أشكال الاِستغلال والاِمتهان الّتي يتعرّض لها العمّال اليوم، مُذكّرا إيّاه بضرورة التعامل الأخلاقيّ معهم، حتّى نساعدهم على تقديم مردودٍ أفضلَ يعود بالفائدة على الجميع.

- انقلْ ما دار بينكما، مبرزا حججَ كلِّ طرفٍ في تأييدِ موقفه.

TuniTests

1/ بناء حججِ الأطروحتيْن بالنّسبة إلى الموضوع "أ":

أ- المدحوضة:

***] لعمري أنا شخص ذكيّ فطِنٌ أعرف كيف أبلغ مرادي بأيسر المجهودات، وأقصر السّبل. كيف أقرن اللّيل بالنّهار، وأهجر الرّفاقَ لأرابط بين جدران المنزل والدّار مراجعا ممحّصا، فأُرهق نفسي وأُضني فكري وعقلي، والحال أنّ الحلّ بسيط: وُريْقةٌ دسستُها في جيبي كنت قد قضّيتُ اللّيل كاملا في إعدادها، وأثناء الامتحان كفتْني نائبةَ النّصَب ومغبّة الكدّ والعناء والتّعب.**

***] المثل يقول :" الغاية تبرّر الوسيلة" ومادامت غايتي هي حصْدُ عددٍ جيّدٍ، فإنّ طريقتي الذكيّة بلّغتني إيّاه، فما المشكل؟ وأين الضّرر؟ بالتّالي فإنّ ما أقدمت عليه يُحسبُ لي لا عليّ. كلّنا في نهاية المطاف ناجحون: مَن قضّى الأيّام والأسابيع مراجعةً، و"مَن عرف من أين تُؤكل الكتف"**

***] هذه العادة غدتْ دأبَ التّلاميذ أغلبِهم إنْ لم نقلْ كلّهم، وما أنا إلاّ مسايرٌ للرّكب، محلّقٌ في السّرب. فهل تريدني أن أكون شاذّا عن المجموعة؟ بل إنّ الشاذّ في أيّامنا هو مَن لا يعتمد هذه الطّرقَ المباحةَ مادامت لا تضرّ بأحد. أنا لن أفتكّ عدد هذا أو تلك، بل كلٌّ سيحصل على علامته كاملةً في نهاية المطاف.**

***] ومن جهةٍ أخرى الدّروس كثيرة والواجبات متراكمةٌ، فكيف لي أن أتمكّن من مراجعتها و فهمها خلال المدّة المطلوبة؟ إنْ ذلك إلاّ مطلب محالٌ يكاد يكون من باب التّعجيز. فالأساتذة إذًا، هم مَن أجبرني على هذا التصرّف. وديننا دين يسرٍ لا عسرٍ، يُجيز مثل هذه الحلول لأوقات الشدّة، عملا بالمبدإ التّشريعيّ القائل: "الضّرورات تبيح المحظورات" أو اِستئناسًا بقوله تعالى: "فمن اضطُرّ غير باغٍ، فلا جُناح عليه"**

***] الدّراسة ليست عملا حتّى نُحيطها بكلّ هذه الهالة والتّضخيم، فنحن مازلنا صغارًا في طور التّعلّم، وحين أُمسي رجلا وأتقلّد عملا رسميّا عندها سأكون متفانيا فيه مُخلصا له.**

***] عليّ إرضاءُ والديّ وكسْبُ ودّهما، ولا سبيلَ أنجعَ لذلك إلاّ بالعودة إليهما دوما بأعدادٍ متميّزة تجعلني في نظرهما مثالاً للتّلميذ المثابر الكادح المتفاني، وحينها فقط، أنالُ موفورَ مرضاتهما، فيُغدقان عليّ من النّفقاتِ أسخاها ومن الهِبات والهدايا أوفاها وأشفاها، ولا أحسبُني خِبّا مغفّلا حتّى أُضيّع على نفسي سبيلا يسيرا سهلا يضمن لي صورةَ الإبن البارّ المتميّز، والتّلميذ العمول المتفاني.**

***] نحن اليوم في مجتمع المظاهر، ويكفي أن تصنع لنفسك صورةً منمّقَة جذّابةً لتحظى باحترام الآخرين وتبجيلهم، وحينها يُشار إليك بالبنان، ويُقال عنك:"هذا هو التّلميذ النّجيب"، فيرفعون من منزلتك، ويجعلون منك قدوة لأبنائهم وبناتهم، وهذا ما يعنيني بالأساس ويجعلني دوما سعيدا فخورا بنفسي.**

ب- المدعومة:

- مرحلة الهدم:

***] الذّكاء والفطنة – يا صاحِ – في ما ينفع الذّات والآخرين، لا في ما يضرّ. بهذا المنطق وجب علينا الثّناء على اللصّ يحتال في فتح الأقفال وسلب الأغراض والأموال، وعلى الكاذب يُحسن حبك الأباطيل حين تخونه الحجّة والدّليل، أنت تروم إلباس الباطل رداء الحقّ، ذكاؤك المزعوم كان يمكن إظهاره في عمل الفهم والإنجاز، وحينها تكون جديرا بهذه الصّفة.**

***] مبدأ: "الغاية تبرّر الوسيلة" الذّي تحصّنت عنده لا يستقيم أيضا، لأنّ سموّ الوسيلة من سموّ الغاية والهدف، والنّجاح في الدّراسة غاية سامية لا تُدرك إلاّ بوسيلة أسمى هي الاجتهاد والكدّ، أنت بطريقة أو بأخرى تسرق مجهود غيرك.**

*] للإنسان عقل يميّز به النّافع من الضّارّ، والصّالحَ من الطّالح، لذا لا نساير الآخرين في رذيلة، ولو عمّت الظّاهرةُ واستفحلت. وطِينةُ التّلاميذِ المجتهدين المثابرين ما تزال موجودة، فلا تعمّم بما يخدمُ سلوكك ويبرّر تصرّفك.

*] لو لم تتركْ الدّروس تتراكم عليك لما أَلْفَيتَ اليوم صعوبة في مراجعتها، ثمّ إنّك في وضعيّة عامّة يخضع لها جميع التّلاميذ، فهم أيضا مكلّفون بذات الدّروس، ولنفس المدّة، فلا تعلّقْ تكاسلكَ على شمّاعة الدّروس والمدرّسين، وإنّما عبثك ولهوك طوال السّنة هما اللّذان جعلاك في مثل هذه الوضعيّة الّتي لا تُحسَد عليها. ولعلّ قول هذا الشّاعر أصدق تصويرٍ لحالك وحال مَن يختلق الأعذار مِن أمثالك ليتملّص من واجباته:

إذا كــان يُؤذيكَ حرُّ المصيفِ --- وكَرْبُ الخريفِ وبردُ الشّتا

ويـلهيك حُسْنُ زمــانِ الرّبيـــــعِ --- فَـأخْذُكَ لِلْعلْمِ قلْ لي: متى؟

*] يقول المثل:"من شبّ على شيء شاب عليه" وأنت إذا دأبت على سلوك الكسل والتّواني مند الصّغر فسيكون من العسير تغييرُ هذه العادة فيك عند الكِبَر، فما نتعوّد عليه صغارا يرسخ فينا كبارا، "وما ندأبُ عليه في الصِّغَر يثبُت في شخصيّتنا ثُبوت النّقش على الحجر"

*] مُخطئٌ مَن حسِب الدّراسة مِن غير جنس الأعمال، بل هي صميم العمل الذّي يتربّى عليه المرءُ طفلا وشابّا. هي عملك لِعقودٍ، وبها ستتسلّم ذات يوم مهنتك لباقي مراحل حياتك، وما دأبت عليه فيها سينتقل بالضّرورة إلى تلك المهنة.

TuniTests

- مرحلة البناء والتوسّع:

◊ مساوئ الغشّ في مجال الدّراسة خصوصا، و سائر الأعمال عموما:

***] الدّراسة مجال التّنافس بين التّلاميذ لتحقيق النّجاح، وذلك النّجاح درجاتٌ: فليس نجاح المتوسّط كنجاح المتميّز المتفوّق، وعليه كان المجهود المبذول هو وسيلةٌ تبلّغُ التّلميذ هذه المرتبة أو تلك، ألم يقل الشّاعر في ذلك:**

فــمَن طلــبَ العلومَ بغيــر كدٍّ --- ســيُدركُــها إذا شاب الغــرابُ

كما قال أيضا:

إذا كـنتَ ذا علمٍ ولم تكُ عاملا --- فأنتَ كَـذِي نعلٍ وليس له رِجلُ

ففي البيت الأوّل يبيّن الشّاعر استحالةَ نَيْلِ المتواني في طلب العلم غايتَه ومطلبَه استحالةَ أن يصيب الشّيبُ الغرابَ فيُحوّلُ لونَه من سوادٍ قاتم إلى بياض ناصعٍ. وأمّا في الثّاني فمقصده أنّ مستوى طالب العلم يُقاس بما في ذهنه وعقله فعلا، لا بما تُعْلنُه شهادتُه الّتي قد لا تعكس حقيقة ذلك المستوى أحيانا. وبما اعتمدتَه أنت من غشّ في الامتحان، قد تُحصّل شهادةً، ولكنّك لن تحصّل مستوًى، فضلا عن كونك قلبتَ المقاييس المنطقيّة، فلم يعد المجهود المبذول هو ضمانة تحصيل التفوّق والتميّز، وإنّما أقحمتَ شُبهةً مرذولة تفسد عمل الدّراسة، وتفتح بابا مُشرعا لتحقيق نفس ما يحقّقه المتفوّقون بغير وسيلتهم، وهي الاِجتهاد، وعندها، لا يبقى للمجهود إذًا من قيمة. وقد ينسج الكثيرون على منوالك الفاسد، فيعمّ البلاء ونتخبّط في ويلات العناء والشّقاء.

***] أنت بهذا السّلوك لا تخدع نفسك فحسبُ، وإنّما تُغالط أطرافا عديدة: أستاذَك الّذي ستنال منه عددا وثناءً لست بهما جديرا، وزملاءَك الّذين لا يعلمون حقيقتك فينظرون إليك بمنظارٍ لست به حَريّا. وبلادك الّتي ستُسلّمك شهادة دون وجه كفاءة، وصديقك الّذي حُزت مرتبته وافتككتَ مكانه دون وجه حقّ، لذا جاء موقف ديننا واضحا صريحا من الغشّ والغشّاشين، لقولة المصطفى:"من غشّنا فليس منّا" وانظرْ كيف أخرج سالِكي طريقِ**

الغشّ من دائرة الإسلام تماما. فلا تستهينَنَّ بما اقترفت، ولا تستبسطنّ ما أتيتَ، والجرم عظيمٌ - يا صاحِ- وإنْ خفيتْ فداحتُه عن منظورك القاصر الأعرج.

*] الغشّ سلوك مرذول في أيّ عمل كان، بيد أنّه يغدو أكثر سوءًا إذا تعلّق الأمر بعلمٍ يُنتَظَر أن ننتفِع به وننفع. فما مصير طبيبٍ نال شهادته بطريقتك؟ وما الّذي تنتظره أجيالٌ من مدرّسٍ تدرّج في سلّم التّعليم على نهجك؟...ألن يغدوَ النّفع ضررا، والبناء هدما؟ أليس المفتَرَض أنّه إذا تعلّمنا بما ينفعُ نفعنا بما تعلّمنا؟

*] أنت في طورك هذا لا تتلقّن معارفَ تُثْري زادك وعلوما تُعمّر ذهنك وفكرك وفؤادك فحسبُ، بل إنّك خلال ذلك تبني لك شخصيّةً على أسس سليمة قويمة، ولا غِنَى لهذا عن ذاك. فإذا وطّنت النّفس على صفات الكسل وعادات التحيّل والدّجل فلن تسطيع (دون تاءٍ) لذلك تبديلا عند الكبر، وستدخل غمار المجتمع بطباعٍ فاسدة سريعٌ عدوُها للآخرين وتفشّيها سُرعةَ انتشار النّار في الهشيم، وكما قال الحكماءُ في الغشّ، فالحقيقة أنَّ: "أساسه دجلٌ وزوالَه عجلٌ"

*] العمل قيمة إنسانيّة نبيلة لأجلها استخلف الخالقُ ابن آدمَ دون غيره في أرضه، ليَعمُرَها بالسّعي والكدح. قال تعالى: "يا أيّها الإنسان إنّك كادحٌ إلى ربّك كدحا فمُلاقيه"، وبناءً عليه لن يبارك الله أيّ عملٍ ما لم يقم على التّفاني والإتقان، لِذا قيل:" بارك الله في مَن عمِل عملاً وأتقنه". وقيل أيضا في ذات السّياق:"بركةُ العمرِ حسنُ العملِ"، ولم يفُتْ أميرَ الشّعراء أنْ يحثّ العمّالَ على السّعي، ولكنْ أيضا على الإتقان بقوله:

أيّـــــها العـمّال أَفْنـوا ال --- عُــمْـــرَ كدًّا واكتسابَا

واعـمروا الأرضَ فـلــولا --- سعيُـــكمْ أمــستْ يبابَا

إلى أن قال: أيّها الغـادون كالـنّـــحْ --- لِ ارتــيـــادًا وطِــــــلابَـــا

أَتـــقنوا يُحبِـــبْكمْ الــلّ --- هُ ويـــرفـــــــعْكمْ جَـنابـــا

إنّ لـــلمُتقِـــنِ عـــــنـــــــد --- الـــلّــــهِ والـــنّاسِ

ثَـــــــــوابَـــا

اطلبــوا البذْل بِصــدْقٍ --- واجعلوا الإخلاصَ دابـَا

واستقيموا يفتحْ الــلّ --- هُ لَــكـــمْ بـــابًـــا فـبــــــــابَا

*] إذا كان من المهمّ أن نعملَ، فقد يكون من الأهمّ أن نُخلص لأعمالنا. فعملٌ على غيرِ وجهِ فائدةٍ كأنْ لم يكنْ أصلا، بل قُلْ:"عملٌ دون إتقانٍ بمثابةِ شجرٍ دون ثمر في الأفنان والأغصان، أو بمثابة أجسادٍ كالأشباحْ، لا تسكنها نفحةُ الأرواحْ"

*] أعمالُنا أساسُ قيامِ مجتمعاتِنا، بها صلاحُ معاشِنا ومعادِنا، فإذا وطّن كلُّ صاحبِ حرفةٍ وصنعة النيّةَ على الغشّ في مجاله كان الخراب والدّمار شاملين عامّين، ولنا أنْ ننظرَ اليوم كيف استفحل في عصرنا عيبُ التّطفيف في الميزان والمِكيال حِيال جشعٍ سكن النّفوسَ لكسب المزيد من الأرباح والمال، طمعًا في رغيد العيش للنّفس والأهل والعيال، في حين أنّ خالقنا ينهى عن ذلك بقوله: "ويل للمطفّفين الذّين إذا اكتالوا على النّاس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون"، كما انتشر الغشّ في العمل بأشكال أخرى لا تمتُّ لشرف الأخلاقِ بصلةٍ. فما غُنْمُ عاملٍ يتأخّر في مواعيد عمله، ويتوانى أثناء قيامه عليه، ثمّ يعجّل بمغادرته ولمّا تَحنْ السّاعةُ؟ وما شعور موظّفٍ يحوّل مكتبه إلى مضطجَعٍ للنّوم أو موضعٍ للثّرثرة والنّميمة مع الزّملاء والقوم؟ وهو – لعمري– عيبٌ مُتفشٍّ في مجتمعاتنا الشّرقيّة نقَده الأديب توفيق الحكيم حينما قال:"مُوَظَّفُكم ينظر إلى ساعة الانصرافِ ولمّا يبدأْ في العمل، ويهمّه المرتَّب والتّرقية ولا يعنيه الإنتاجُ".

*] التعوُّدُ على الغشِّ في الأعمال يقتل في ابنِ آدمَ وازعَ الضّميرِ الّذي هو في الأصل رقيبُ الإنسانِ الأوّلُ، ورادعُه الأقوى ينأى به عن الرّذيلة ويحضّه على الفضيلة. فلا نُبْلَ في استغلالِ غفلة الآخرين لنمارس عليهم أشكال الغشّ وألوانَه، فنجنيَ الأموالَ ونحقّق

الأرباحَ ونخال أنّا نجونا من العقاب، ألم يقل الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم: "اتقِّ اللّهَ كأنّك تراه، فإن لم تكنْ تراه فإنّه يراك"

◊ التّفاني في العمل ومزاياه:

*] التّفاني في آداء الواجب يُرسّخ في الفرد قيَما ساميةً بنّاءة، من قبيل: الإخلاص والأمانة و اجتناب النّفاق والرّياء، والصّراحة واحترام الآخر والانضباط والاستقامة وتقديس الواجب وتقدير المسؤوليّة، وهي خصال لا تفيده في مجال عمله فحسب، بل تنعكس على سائر مجلات حياته. وما أحوجنا معشر الشّرق إليها، لأنّ علّة تَقَهْقُرنا وتردّي أوضاعنا غياب هذه القِيَم في شخصيّة العامل.

*] إذا أمسى الفردُ بتلك الخصالِ، كان الغُنْم عامّا شاملا، فينتفع المجتمع برمّته. وحينها تتوطّد العلاقات بين أفراده، فلا لَدَدَ ولا مماطلةَ ولا تسويفَ ولا خداعَ، وهي – تاللّه – رذائلُ لا يمكن إلاّ أن تردّه عن سُبل النّماء والرّخاء. وانظر عمّالَ الأممِ الرّاقية لا يحتاجون رقيبا عليهم وهم يعملون، فَرَقَوْا بأوطانهم صُعُدًا، وحقّقوا النّهضة لبلدانهم، وأعلوا من مكانتهم وشانهم (عمّال كوريا الشماليّة يشتغلون لأربعَ عشرة ساعة في اليوم الواحد، وحتّى يوم عطلتهم الأسبوعيّة يتبرّعون به للوطن عملا مجانيّا، بينما عندنا في وطننا وصل الأمر بعد الثّورة إلى معدّل عملٍ يوميٍّ لا يتجاوز الثّماني دقائق، فكيف سننهض دون تفانٍ في أعمالنا؟)

TuniTests

III- الهدف الثّالث: أوقات الرّاحة وعلاقتها بأعمالنا.

صحيحٌ أنّ العمل أساسُ وُجودِ الإنسانِ دونه يظلّ ممسوخَ الهُويّةِ والوجدانِ، مُشوّهَ الصّورةِ مهزوزَ الكيانِ، وصحيحٌ أنّ ذلك العملَ لا يكتسبُ نجاعتَه وفاعليّتَه إلاّ بخصالِ الإتقان والتّفاني، بيد أنّ كلَّ هذا لا يعني أن تتحوّل حياتُنا كلُّها إلى مجهودٍ لا ينتهي وكدٍّ لا يَنْقضي. ولا بدّ بالتّالي لِوُجودِنا مِنْ أوقات راحةٍ نسترجع خلالها الأنفاسَ ونجدّدُ فينا

الشّعورَ والإحساسَ، وهنا نكون عند عتبةِ الهدفِ الثّالثِ من المحورِ: "علاقةُ أوقاتِ عملِنا بأوقاتِ راحتنا". وممّا تجدُر الإشارةُ إليه أنّ هذا الهدفَ مثارٌ لوضعيّتيْن حجاجيّتيْن أساسيّتيْن:

- فإمّا أنْ نتجادلَ مع شِقٍّ من النّاسِ لا يُؤمنونَ تماما بحقِّ العاملِ، بعد كَدِّه وجِدّه وفَيْضِ عطائه لواجبه، في الحُظِيِّ بأوقاتِ راحةٍ لها مِن الأهميّةِ ما يرقى إلى مرتبة إيماننا بأهميّةِ العملِ نفسِه.

- وإمّا أنْ ينشأَ الحوارُ الحجاجيُّ عن خطإٍ ثانٍ يتمثّلُ في إساءةِ البعضِ تَعامُلَه مع أوقات فراغه، حين يُفرطُ في إهدارها عبثا مَقيتًا ولهوا فجًّا مُميتا يُسيءُ لأعمالنا حين نعود إليها ويُقلّل من فاعلِيّتِها ونجاعتِها.

1- صياغَةُ مواضيعَ تتناسب مع كلِّ توجُّهٍ من التوجُّهيْنِ الحجاجيْن المذكوريْن:

أ/ بالنّسبة إلى التوجُّه الأوّل:(عدمُ الإيمان بحقّ العامل في فُسحةٍ للرّاحةِ رغم بذْلِه وعطائه)

- الموضوع "أ" :

أنهيْتَ سنتك الدّراسيّةَ بتفوُّقٍ باهرٍ كان ثمرةً لعملٍ متواصلٍ مُضنٍ، وتشوّقْتَ لعطلةٍ صيفيّةٍ تسترجعُ فيها أنفاسَكَ، بيد أنَّ والِدَك فاجأكَ بسيْلٍ من الواجباتِ، وكَمٍّ هائلٍ من الدّروسِ الصّيفيّةِ، بحجّةِ الخوفِ على مستواك من التّراجع، وإيمانِه الجازم بعَدَمِ حاجتنا إلى مُتنفَّسٍ بعد البذلِ والعطاء. فتناقشتَ معه عساك تُقنعه بأهمّيةِ أوقاتِ الرّاحةِ، وتكامُلِها مع أوقات العمل، مُبرزا ما يمكنُ أن يُصيبَ الواجبَ مِن مشاكلَ إذا حوّلنا العُمرَ كلَّه إلى مجهودٍ لا يعرف التوقُّفَ.

انقلْ ما دار بينكما، مُبرزا حججَك في إقناعه بوِجهةِ نظرك.

- الموضوع "ب" :

Www.tunitests.tn

لك أخٌ مُقبلٌ على مشروعٍ يراه مهمًّا، فجعل أيّامَه ولياليهِ أعمالاً تتلوها أعمالٌ، غير عابئٍ بحقِّ جسدِه وفكرِه في فُسحٍ من الرّاحةِ ولو قصيرةٍ، بِدَعْوى أنَّ الحياةَ كدٌّ لا ينتهي، وأنّ التّرويحَ والتّرفيهَ من حقِّ الأغنياء والمَيْسورين فقط. فتدخّلتَ لتحاولَ إقناعَه بِضرورةِ المُراوحةِ في الحياة بين واجبِ العملِ وحقِّ التّمتُّعِ بِأوقاتٍ لاسترجاع الأنفاس، مبرزا ما يمكنُ أنْ يؤولَ إليه الأمرُ إذا أفرطنا في طلَبِ الواجبِ وفرّطْنا في حقِّ التّرويحِ بين الفيْنة والأخرى.

انقلْ ما دار بينكما، مبرزا حججَ كلِّ طرفٍ في دعْمِ وِجْهةِ نَظَرِه.

ب/ بالنّسبةِ إلى التوجُّه الثّاني:(الإفراطُ في العبثِ بأوقاتِ الرّاحةِ لاعْتقادِ قطيعتها التامّةِ مع أوقات العمل)

- الموضوعُ"أ" :

أفرطَ صديقُكَ أثناءَ العطلةِ الصّيفيّةِ في أعمالٍ عشوائيّةٍ غيرِ مدروسةٍ، قاطعا أيّةَ صلةٍ بأنشطةٍ واعيةٍ تُروّحُ وتُفيد. وكانت مبرّراتُه أنّ أوقات الرّاحةِ جُعِلتْ لِإشباعِ مَطالبِ العبثِ واللّهوِ. فتدخّلتَ ذات مرّةٍ لتنهاه عن هذا التصرُّفِ المُشينِ في أوقات راحته، مُنبِّهًا إيّاهُ إلى ضرورةِ حسْنِ التّعامل معها حتّى لا ينقلبَ النّفْعُ ضرَرًا.

انقل ما دار بينكما، مبرزا حججَ كلِّ طرفٍ في دعم وِجهة نظرِه.

- الموضوعُ "ب" :

لك أخٌ كثيرًا ما يشتكي من حالاتِ توتُّرٍ وإرهاقٍ بسببِ ظروفِ عملِه بأحدِ المصانعِ، بيد أنّه في المقابلِ لا يُحسنُ استغلالَ أوقاتِ راحتِه ويقضّيها في ما يزيدُ مِن تعكيرِ حالِه.

فتدخّلتَ لتُنبّهَهُ إلى ضرورةِ حُسنِ استغلالِ تلك المساحات الزّمنيّة حتّى نعود إلى أعمالنا في حيويّةٍ ونشاطٍ، فيكون مردودُنا غزيرا خلاّقا.

-انقل ما دار بينكما، مبرزا ما اعتمدتَه من حججٍ في إقناعِه بِوِجهةِ نظرِك.

2- بناء حججٍ تناسبُ الأطروحتيْن باختيارِ موضوعيْن ممّا وقعتْ صياغتُه:

<u>أوّلا</u>: الموضوع"أ" عند التوجُّه الأوّل:

أ/ حججٌ تناسبُ موقفَ الأبِ غيرِ المؤمنِ بجدوى أوقات الرّاحةِ تماما:

***]هذي الحياةُ حلبةُ صراعٍ طاحنٍ ما فاز في رحاها إلاّ مَنْ جعل أيّامَه عملا متواصلا وجُهدا لا يعرف التوقّفَ والهُجوعَ. وكلُّ دقيقةٍ، بل كلُّ ثانيةٍ نتوقفّ فيها عن العمل والبذل نكون قد ارتكبنا خلالها جُرما فظيعا في حقِّ أنفسنا وفي حقّ الزّمن والبشريّة جمعاءَ. لِيَكنْ لك في مثلِ النّملة والصرّار خيرَ نبراسٍ تستلهم منه المغازيَ والعِبَرَ وتجتني منه النّفائسَ والدُّررَ. فإمّا أن تكون في هذا الوجود نملةً لا تكلّ ولا تملّ من العمل، وإمّا أن تكون صرّارا كسولا مِهذارًا مُترنّما ثرثارا، لا يُحسنُ سيرا ولا يجتني خيرا، بلْ ولا يعمُر دارًا ولا يرسم دربا سليما أو مسارا.**

***] إذا كان اللّهُ قد جعل العملَ أوْكدَ واجباتِ ابنِ آدم في هذا الوجود بِقوْله عزَّ وجلَّ: "وقلْ اعملوا فسيرى اللّهُ عملَكم ورسولُه والمؤمنون"، فكيف لهذا المخلوق أن يتوقّفَ عنه لحظةً واحدةً؟ ألا يكون بذلك قد عصى أمرَه وحاد عنْ دربِ طاعته؟ بالتّالي المؤمنُ الصّادق هو مَنْ أشاح عن أوقات الرّاحةِ بوجهه تمامًا ليُقبل على الأيّامِ جميعِها كدحًا وبذلا، نَصَبًا و عطاءً، دون ذلك لن يكون مِن المُفلحينَ، ولن يغنم دُنياهُ ولا آخرتَه. وكلّما أجهدَنا الجسد والفكرَ بِنَصَبِ العملِ أكثر، كلّما كان نصيبُنا من الأجر عند خالقنا أوفرَ وأغزرَ.**

***] اعلمْ – هداك اللّه- أنّه إذ نازعتْكَ نفسُك إلى إغواءِ الرّاحةِ وإغراءات الاستجمام، فإنّك سائرٌ لا محالةَ في مَهاوي التسيُّبِ ودُروبِ الانحلالِ، فتستعذبُ القعود وتستهجنُ الجِدّ والبذل والصّبرَ والصّمودَ. فنفسَكَ- يا بُنيّ- وحبَّ الرّكونِ، وطبعَك واستحسانَ الجمودِ ولو لِلَحظاتٍ معدوداتٍ قد يتسلّلُ لك من خلالِها ما لا يُحمَد عُقْباهُ مِن الخنوع والخضوع والاستكانة والرّكود، وقد قال أسلافُنا- أدام علينا اللّهُ أمثالَهم ذُخرا ثمينا وناصحًا مُعينا- :"الحركة بركة والتّواني هَلَكةٌ". وأنت شِبلُ أبيكَ وصِنْوُه ونظيرُه، وما خوفي على انحلال شخصيّتِك بسبب طلَب الرّاحةِ بِأقلَّ مِن خِشْيتي على نتائجِكَ من التَّراجُع، فمَنْ توقّف خطوةً تجاوزه غيرُه بخُطواتٍ، ومَنْ مكثَ عند محطّةٍ، ولو لِبُرهةٍ، قطع الآخرون دونه أشواطا، وحين يستفيقُ يُلفي الأوانَ قد فات، ولا ينفعه عندها أسفٌ ولا أنّاتٌ. و"مَن لمْ يُقدّمْه العزمُ أخّرَه العجزُ" على حدّ عبارةِ المثلِ السّائر البليغِ.**

***] الأُممُ الرّاسخةُ في التقدّم والتحضُّر، البالغةُ من التطوُّر شأوًا عظيما مِنْ قَبيلِ أهلِ الغربِ، هي فقط تلك الّتي انصهر أفرادُها أجمعُهم في مسارٍ مِن العملِ طويلٍ شاقٍّ متواصلٍ لا يكاد يعرفُ بِدَعَ الرّاحةِ ومُحدَثاتِ الاستجمام والتّرويحِ. لذلك تراها في قمّةِ السلّمِ والهرَم، وفي ذُرْوةِ سَنامِ المجد. مِن هنا قد يكونُ مُجرّدُ التّفكير في الرّاحة خطأً فادحا لِما قد يجرّه على الفرد مِن مثالبِ التّقاعس ونقائص الكسل والتّواني، حين يتعوّد على القعود، ويستَمْرئُ لذّتَه الخادعة الماكرةَ، وإذّاك يتطبّع بعيوبٍ، إذا طالتْ العبدَ وأحكمتْ وِثاقه، أحالتْهُ ماثلا غير منظورٍ وميّتا غير مقبور.**

***] اللّه بحكمته جعل الحياةَ مدارَ الكسْبِ والسعيِ والبذلِ، ولذلك سُمّيتْ الدّارُ الدّنيا "بدار الجحيمِ" لأنّ قَدَرَ الإنسان فيها تعبٌ ونَصَبٌ وشقاءٌ، في حين جعل الموت والآخرةَ زمنَ الرّاحةِ ومكان المتعةِ (إنْ صلُحتْ أعمالُنا طبعا)، ولهذا وسمها "بدار النّعيم". وأجدادُنا العارفون المتبصّرون قالوا:"لا راحةَ إلاّ في القبور ولا سعادةَ إلاّ يومَ النُّشور"، فحين تُوافي الإنسانَ المَنيّةُ وتُفارقُ روحُه جسدَه وتخمُد أوصالُه الّتي هي وسائلُ سَعْيِه وحركتِه، حينها فقط يرقد في ضريحه مرتاحا لأنّه كفر بنقمةِ الرّاحة والتّرويح وآمن بنعمةِ**

الجِدّ والكدّ مِن مهْدِه إلى لحْدِه. فيكونُ عيْشُ الملذّاتِ والمُتعِ نصيبَه الحتميَّ في وقتِه الطبيعيِّ يوم الحساب، وتكون بالتّالي عاجِلَتُه (الدنيا) أحسنتْ التّقديم لآجلتِه (الآخرة).

*] أنا والدكَ قدوتك وأُسوتُك لا أكاد أعرف للرّاحة سبيلا، حتّى أنّ زملائي في العمل ينعتونني"بالآليّ العجيب" لم أتمتّعْ منذ سنوات بيوم إجازة واحدٍ، ولم يذكرْ زملائي أنّي حظِيتُ بعطلة مرضٍ مرّة، ولو كنتُ في أعسر حالٍ وفي أَضْنَكِه. أتحامل على النّفسِ الميّالة بطبعها إلى حبّ الرّاحةِ وأُطوّعها على تحمُّل الأتعاب الثِّقال والآلامِ المُبَرّحة فتطيعني وتستجيب مُنصاعةً، وتكفيني بعضُ المهدّئاتِ وطائفة من المسكّنات لأكتِم أنفاسَ أوجاعي وكُلومي. فلْتحذُ حِذوي، ولْتسرْ على نهجي حتّى تحصد التّرقياتِ والأوسمةَ والمِنَح المُعتبَرة، فتكيدَ الحاسدين وتقهر النّفسَ البشريّةَ الأمّارةَ بِطلَبِ الرّاحاتِ والمُتع والشّهوات أعاذنا اللّه من شرورها، ولو كان يعرف لها فائدةً لما نهى عنها ربُّنا وزجر.

*] إنْ كان هناك مَنْ يجوز لهم الرّاحةُ والاستجمامُ، فأولئك هم الأغنياءُ المَيسورون أصحاب الثّروة والجاه، اصطفاهم الخالق بمشيئته للتنعُّم بالرّاحة في الدّنيا قبل الآخرة بما أغدق عليهم من فيض نعيمه ومَوفور رزقه. فلا حاجة بهم إلى العمل والسّعي للكسب، لأنّ المال وفيرٌ والخيرَ عميمٌ، وعليه، فذاك اختيارٌ من الخالق يختصّ به من عباده مَن يشاء، وقد تكون له مِن ورائه أبعادٌ لا يعلمها سواه عزّ وجلّ.

*] الدّراسةُ ليستْ مجالَ عملٍ مرهقٍ مُتعبٍ، وإنّما هي نشاطٌ يسيرٌ بسيطٌ يمكن للإنسان أن يقضّيَ في غماره الأيّام واللّياليَ دون أدنى شعورٍ بالحاجة إلى الرّاحة. ها أنا ذا آخذك إلى المعهد راكبا وأعود بك كذلك، وأنت خلال الحصصِ جالسٌ كالأمير على طاولتك والأساتذةُ في خدمتك إفهامًا وشرحا وتفصيلا. فإذا أُبتَ إلى المنزل أَلْفيْت مأكلَك ومشربَك جاهزيْن في انتظارك، فقُلْ لي بربّك أين التّعبُ؟ وأنّى لك أنْ تشكوَ النّصَبَ! ، غيرُك يحسدك على ما ترفل فيه من نعيمٍ. لم يطلبْ عمّالُ المناجمِ والأنفاق والصّحاري والجبال الرّاحةَ، وتطلبها أنْت! . لعمري إنْ هذا إلاّ استهتارٌ وانحلالٌ جرّهما إلينا هذا العصرُ بِلينهِ ورخاوتِه ومُيوعتِه.

ب/ حججٌ تناسبُ الموقف السّليم المعارض لهذا الفهم المُشطِّ:

◊ مرحلةُ الهدم:

***] لئنْ كنتُ أُشاطرك الرّأيَ في أنَّ العملَ أسمى قِيمِ الوجودِ وأنبلِها، فإنّ ذلك لا يعني البتّةَ أنْ نُحوّله إلى واجبٍ لا ينتهي وتكليفٍ لا ينثني، ففي هذا خروجٌ عن حقيقةِ تكليفنا به، إذْ لا يُفترَض التّعاملُ معه على أنّه حِمْل ثقيلٌ وعقوبةٌ مَريرةٌ مُؤبّدةٌ هدفُها الهدم لا البناءُ، والتدميرُ لا التّعميرُ، والتّنكيلُ لا التّكريم والتّبجيلُ، وبالتّالي في ما تراه شططٌ مُبينٌ وغُلوٌّ مُشينٌ. فالاعتدالَ الاعتدالَ يا أبتِ، لأنّ المثل يقولُ:"حبُّ التّناهي شططٌ، وخير الأمور الوسطْ"("إذا بلغ الشّيء حدّه انقلب إلى ضدّه"). فلا تفريطَ في العمل، ولكن أيضا لا إفراط فيه، فينقلب النّفعُ ضررا، والنّعمةُ نقمةً. كأنّي بك تتحدّث عن أشغالٍ شاقّةٍ لا عن عملٍ ممتع رائقٍ.**

***] الأممُ الّتي تقصدُ ما تقدّمتْ إلاّ لأنّها تولي لأوقات راحتها وعُطلِها نفسَ أهميّةِ أوقاتِ عملِها وجدِّها وكدِّها. لأنّ في ذلك توازنًا فريدا واعتدالا فقيدا. وانظرْ ما يَشيعُ في حياتهم من مَواضعَ للتّرفيه ومَحالَّ للتّرويح ومَواطن للاستجمام (المقاهي والملاهي ومُدن الألعاب ومساحاتُ التّرفيه والمَعارضُ ودُورُ الثّقافة والمسرح والسّنما...) تقفْ على حقيقةِ تقديرهم لِأزْمِنةِ راحتهم، مُدركين جيّدا الغاياتِ المُعتبَرةَ مِن وُجودها. وما ترقِّيهم اليومَ في سلّم الحضارةِ والتطوُّر إلاّ لِإيمانٍ راسخٍ قديمٍ ثابتٍ لديهم بحقّ أبدانِهم وأَنفُسِهم وأَذهانهم في الرّاحة بنفس مقدار إيمانهم بواجب العملِ وضَرورتِه. هم يُحسنون تقسيمَ جداوِلِهم اليوميّة والأسبوعيّة والشّهريّة والسّنويّةِ بين هذا وذاك، فلا يطغى جانبٌ على الآخر، ولِهذا تراهم يعودون إلى أعمالهم بعد راحاتٍ مدروسةٍ في نشاط وحيويّةٍ، لا كالّين مالّين كما هو الشّأن بالنّسبة إلى عُمّالنا معشرَ الشّرقِ، فتتحوّل أوقات عملنا إلى مساحات لطلب الرّاحة والتّواني والكسل. وقد نبّه إلى ذلك الأديبُ العربيّ توفيق الحكيمُ حين وصف سلوك الموظّفين وقد حلّوا لِتَوِّهم بمكاتبِهم، فبدل أن يأتوها في نشاطٍ وحيويّةٍ وشوقٍ ورغبةٍ، تراهم في عزمٍ فاترٍ وجسمٍ خائرٍ. ولهذا نقد هذا السّلوك قائلا:"مُوظَّفَكمْ ينظر إلى ساعةِ**

الإنصرافِ ولمَّ يبدأْ في العملِ، ويهُمُّه المُرتَّبُ والتّرقيةُ ولا يعنيه الإنتاجُ..."، لهذا ساءل معشر الشّرقِ مِنْ بني أمتّه الّتي هي أمّتنا في استفهامٍ تهزّه نبرَةُ الاستنكارِ:"بأيِّ سلاحٍ تُواجهون التّنافُسَ العظيمَ على الإنتاج والصّراعَ الشّديدَ على الأرزاقِ؟ أبِمَبْدإ الجُهْدِ الأدنى والغُنْمِ الأسنى الّذي اعتنقَه الكلُّ فيكم مِنْ شبابكم إلى مَشيبكم؟" كلُّ ذلك لانّنا لم نُعطِ أجسامنا وعقولنا حقّها في الرّاحة الواجبةِ اللاّزمةِ لُزومَ الماء والهواء.

◊ مرحلةُ البناء والتوسّع:

***] أنا لا أُنكر البتّةَ أنّك مَثَلي الأعلى وقدوتي الأولى في كلِّ أمرٍ ومذهبٍ، بيد أنّي أراك في هذا السياقِ مُجانبا للصّوابِ مُجافيًا للمعقول والمنطق. فأنتَ تُفرطُ في طلَب العمل على حساب صحّتِك وطاقتك الّتي لها عليك حقٌّ. قال تعالى: "لا يكلّف اللّه نفسا إلاّ وِسْعها" وقال أيضا في ذات الاتّجاه: "ولا تُلقوا بأيديكم إلى التّهلكةِ". وإنْ كنتُ ألتمس لك العذر في هذا الإفراط عند طفولةٍ محفوفةٍ بضروبِ الحرمان والخصاصة نتيجة اليُتم المبكّر، فإنّي أُنبّهك إلى ما يتربّص بك - يا والدي العزيز- من مخاوفِ الانهيار، ومخاطر الضّغط والتوتّر الّتي هي أوّلُ أوبئة العصرِ. فرفقًا بنفسك وبِبَنيكَ حتّى لا تلقى ويلقَوْا ما لا يُرضيهم ويُرضيك.**

***] فُسَحُ الرّاحةِ مِن اليوم والأسبوع والشّهر فالسّنةِ لازمةٌ مُلحّةٌ لا غِنى لابن آدم عنها بعد تمْضيته كمًّا مِن الزّمن في أعباء الواجب وأثقالِ المُهمّات. وكلُّ المُجتمعات البشريّة في مَشارق الأرض ومَغاربِها تُؤمنُ بقيمة ذلك، لأنّ الإفراط في أيِّ أمرٍ، ولو كان ممّا فيه نفعٌ لنا (العمل، العلم، العبادة، الدّواء، التّواضع، الطِّيبةُ...) يقلب صورتَه تمامًا، فيغدو مصدر مضرّةٍ بدل نفْعِه وجدواهُ. وجميعُ أصنافِ العاملين مهما بدا لنا مَشغلُهم بسيطا يسيرا مُمتعا، في حاجة إلى أوقات ترويحٍ، لأنّه وإنْ لم تتعبْ أبدانُهم فقد تتعبُ جوارُحهم وأرواحُهم. والنّفس البشريّةُ مجبولةٌ على النّفور من كلِّ ما يتكرّرُ ويُعادُ و يتوالى ويتتابع على مدار الأيّام والأسابيع والشّهورِ. ولِرسولنا الكريم في هذا الباب قولٌ مَعتبَرٌ فَحْواهُ:"روّحوا عن أنفُسِكم ساعةً بعد ساعةٍ، فإنّ النّفوسَ إذا كلّتْ عمِيتْ"، من هنا نُدركُ**

الأبعادَ الخفيّةَ من المراوحة بين واجبِ أعمالنا تلاميذَ وموظَّفين وعَمَلةً و...و...، وحقِّ أنفُسِنا وعقولنا وأجسامنا في حيّزٍ من الرّاحة لِوقتٍ معلومٍ مُحدّدٍ. فقدْ نتعسّفُ على الجسدِ ونُرغمه على مُواصلة البذل، بيد أنّنا لن نستفيد شيئا، فعندها تكون البصيرةُ قد عَمِيتْ بِسبب الكلالة والملالةِ. وحيها يغدو الإقبالُ على الواجب ضربا من العبثِ ليكون مَثَلُنا كمثل مَن يرقم على الماء، أو كمثَل المعتوه ينشدُ القرَّ في الحرِّ، ويطلبُ اللّينَ في الصّخر. غير مُدركٍ أنْ لا طائل من وراء ذلك، لأنّ الجسدَ قد اعتلّ فاختلَّ. فما الفائدةُ المُرتجاةُ إذًا من عملٍ لا روحَ وراءه ولا رغبةَ فيه.

***] أوقات الرّاحة نعمةٌ اهتدى إليها علماءُ النّفس وخُبراءُ التّركيبة البشريّةِ الفريدةِ. حينما أيقنوا أنّ الإطالةَ في أزمنة العمل، لا سيما إذا كان مرهقا مُتعبا، شكلٌ من أشكال الاستعباد للذّات البشريّة المُكرَّمة عند الخالق. ويكفي الإنسانيّةَ درساً تجربةُ العبوديّةِ وما جرّته على ابن آدمَ من ويلاتِ الامتهانِ والاستغلال والإذلال، ممّا نزل به إلى مراتب الدوابّ والسّوائم. لهذا سُنّتِ القوانينُ المنظِّمةُ لواجب العمل، ونُظّم وقتُه وحُدّد مِقدارُه ومداه الزّمنيُّ، وإنْ اعتدى عليها مُعتدٍ كانت التّشريعاتُ صارمةً في زجره وردْعِه. ولِأهل الغربِ في هذا تجاربُ راسخةٌ تصلح لنا مثالا يُحتَذى. فإذا نظرنا إلى المسألةِ في ضوء عصرِنا الرّاهن بما يطفح به مِن أسباب توتّرٍ ومَباعثِ إرهاقٍ وضجرٍ، أمسى مِن الحتميِّ إيلاءُ أيّامِنا نصيبها من الرّاحة بنفس مقدار ما نوليه لأعمالنا من أهميّةٍ.**

***] صحيح أنَّ الأجسامَ والأبدانَ أدواتٌ ووسائلُ، ولكن لا يعني ذلك طمْرَها وقبْرَها تحتَ أنقاضِ الواجبات والأعباء الجِسامِ الثِّقالِ الدّامياتِ، فإنَّ كثرةَ الأشغالِ تُذبلُها إذبالَ الهجير لِرونقِ الزّهرةِ وإشراقها. ولنا أقوالٌ وحِكَمٌ شتّى في الحثّ على المُوازنة بين واجب العملِ وحقِّ التّرويح، كقول الشّاعرِ معروفٍ الرّصافيِّ:**

لا بدّ مِنْ هزْلِ النّفوسِ فَجدِّها--- تَعَبٌ وبعضُ مُزاحِها استجمامُ

فإذَا شغلْتَ العقلَ فَالْهُ سُوَيْعةً--- فالــلّهوُ لِــلْعقلِ الطّليحِ جِمامُ

وقال آخرُ:

الدّهرُ يومان ذا نَصَبٌ وذا لَعِبُ --- والعيشُ عيْشانِ ذا جدٌّ وذا مرحُ

فأَحْسنِ الجمْع بين الجدِّ والمرحِ --- تعِشْ سعيدا فلا كرْبٌ ولا تَرَحُ

***] أوقات الرّاحةِ نِعْمَ الكنزُ الثّمينُ تعود على مشاغلنا بفيْضٍ من الحسنات والمزايا إذا أحسنّا تصريفَها وإنفاقَها في أنشطةٍ مدروسةٍ ناجعةٍ لا تُعيدُنا بالضّرورة إلى أعمالِنا الرّسميّة، وإنّما تُريحُنا من أتعابِها وإرهاقِها الجسديِّ والنّفسيِّ:**

أنا التّلميذ: خلال عطلتي الّتي تريد أنت إعادتي خلالها إلى عالم الدّراسة الفعليّ، يمكنني أن أُجدّد نشاطي بممارسة الرّياضةِ فإنّها ترويضٌ للجسم والعقلِ، والمثل يقول: "العقل السّليم في الجسم السّليم"، ومن أهمّ ما تصلح به الأجسام والعقولُ ممارسة هذا النّشاط / يمكنني أن ألوذَ بالأنشطة الفنيّةِ بين مسرح وسنما وموسيقى وأدبٍ بنثره وشعرِه، بقِصصِه وحكاياته ورواياته ومقاماته ونوادره... وحينها أُهذّب ذوقي وأصقل مواهبى وأرقى بحسّي ومداركي، وليس ذلك بأقلّ أهميّةً من فِقْه المعادلاتِ وفهمِ النّظريّات واستيعاب القواعد النّحويّة والصّرفيّة. ألم يقلْ شكسبير: "أعطني مسرحا أعطك شعبا عظيما"، وعلى نهجه سار الأديبُ العربيّ أحمد أمين حين قال مُنبّها إلى أهميّة تكوين النّفس على الحسّ الفنيّ: "إنّ تَقَدُّمَ البشريّةِ في المَدَنيّةِ والحضارةِ والدّينِ والعلم والاختراع يدينُ للفنّ أكثر من أيّ شيءٍ آخر"/ يمكنني أن أستفيد من بحر الإنترنيتِ الشّاسع الواسعِ الرّحْبِ الفسيحِ: أتواصل مع الغير،أُثري زادي وأُعمّر فؤادي، أجول في المتاحف والمعالم الكونيّة، أُتابع الأخبار وآخرِ المُستجِدّات السّياسيّة والاقتصاديّة والعلميّة والاجتماعيّة والثّقافيّة..../ أزور الأقارب والأهلَ فأصلُ الرّحمَ وأُحيي ما فتر من علاقاتٍ....

أنت الموظَّف: لا بدّ لك من مساحاتِ راحةٍ يكون لها عليك مفعولُ السّحر، إذا أحسنتَ انتقاء أنشطتك خلالها: تمارسُ بستنةً وتتعهّد سيّارةً وتنشغل بورشةٍ وتعكف على طلاء جدار أو مُستودَعٍ أو منزلٍ كامل... فتجني مَغانمَ شتّى تربو عن العدِّ وتُفلت عن الحدِّ: تُطوّر مهاراتِك وكفاءاتِك، وتتخلّص من إرهاقك ونَصَبك وتعبك، وتُوفّر مالا كان سيؤول إلى جنّانٍ أو ميكانيكيّ أو دهّانٍ أو....أو... أنتَ ونحنُ أولى به، وأنت- يا أبتِ- الأدرى بغلاء المعيشة في هذه الأيّام وتزايُد النّفقاتِ بصفةٍ مهولةٍ.

العامل بالمصنع والمعمل: بإمكانه التخلّص من آثار أزيز المحرّكات وصخب الآلات وضغْط العمل المتسلسل الجُهنّميّ بزيارة الطّبيعة في ديارها حقلا وبستانا وغابةً... فينزع عن النّفس ما ران عليها من ضجرٍ وكلل وملل، فتنبتُ للأرواح أوراقٌ نضِرةٌ يانعة بدل تلك الذّابلة الصّفراء...

بهذه الأنشطة اليسيرة المتاحة لكلّ طرفٍ ننزع عنّا الرّتابةَ والكآبة والقلق والضّيق والتوتّر فيعود كلٌّ إلى عمله وقد تجدّدت روحُه واخضلّتْ جوارحُه وأينعتْ شجرةُ العمُر فيه وأزهرتْ من جديد.

***] أمّا إذا أصررنا على المغالاة في طلب العمل بحجّة أنّه كسبٌ وثوابٌ، مُتغاضين عن حاجة النّفس والبدن إلى نصيب من الرّاحة، فإنّنا نُخطئ الهدفَ ونحيدُ عن المقاصدِ الأصليّةِ مِنْ سَنِّه وتكليف ابنِ آدم به، وعندها يغدو جحيما لا نعيما ومشكلة لا حلاًّ، فتتكاثر الهموم والضّغوط، وتتنامى الهواجسُ والأسقامُ ليمسي العملُ سجنا مظلما ضيّقا خانقا ترانا مقبلين عليه في فتورٍ بدل سرورٍ، وتَرَحٍ عِوض فرحٍ، ونُفورٍ مكانَ سرور وحبورٍ.**

<u>ثانيًا</u>: الموضوع "أ" عند التوجّه الثّاني (طرَفٌ يسيء اِستغلال أوقات راحته)

أ/ حجج تناسب موقف الصّديق المفرط في تبديد أوقات عطلته الصّيفيّة هباءً:

***] أنا فتًى أنضح حيويّةً وأتّقد نشاطا، ولقد آليتُ على نفسي ألاّ ألمس قصّةً أو أتصفّح كتابا خلال العطلة الصّيفيّةِ، وفي المقابل وطّنتُ العزم على تمضيتها بأكملها في مجالس الخلاّن وجمَعاتِ الرّفقة والنّدمان نرتاد المقاهي ونتردّد على الملاهي ونُقبِل على ما يُمارسه لداتُنا ونُظراؤنا من إشباعِ رغباتٍ وتلبيةِ شهواتٍ، قطعًا مع شبح الجديّة وهاجس الاِجتهاد والمثابرة.**

***] أوقات الرّاحة ما جُعِلت إلاّ للاِنقطاع التامّ عن كلّ ما له علاقة بالمعرفة والتّثقيف، وإذا أنا تعاطيتُ مع قصّة أو أقبلتُ على رواية أفسدتُ مفهوم راحتي، وعدتُ بنفسي إلى جحيم الدّراسة الّتي كرِهتها نفسي ومجّتْها مهجتي وضميري. ولا أُخفيك أنّي قد ضقتُ ذرعا بالدّروس والمدرّسين، وما فتئتُ أتحرّق شوقا لأيّام هذه العطلة حتّى أُشفيَ لنفسي غليلها من عوالم اللّهو والمرحِ والعبثِ الّتي لها على نفسي سلطانٌ قويّ متينٌ هوًى جارفٌ مكينٌ وميلٌ قاهرٌ دفينٌ.**

***] شعاري في هذا الوجود: "الرّاحةُ نعيمٌ، فإذا عُقلِنتْ فهي جحيمٌ"، وبالتّالي أراها في تعارض تامٍّ مع أوقات العمل، إذْ يدعونا المنطق إلى إقامة الحدود والحواجز بينهما إقامةً جليّةً واضحة تامّةً. فأثناء العملِ لا يستقيمُ أبدا أن نفكّر في راحةٍ، وآناء الرّاحةِ ما يجوز بالمرّة أن نخطّطَ لعملٍ.**

***] العطلة من العَطالة والتّعطيل، بما معناه الاِحجام التامّ عن أيّ شاط له صلة بعيدة أو قريبة بأعمالنا الرسميّة. فالمدرّس لا يجب عليه أبدا أن يدنوَ خلالها من كُتُبه ودفاتره، والطّالب والباحث لا يجدر بهما البتّة أثناءها أن يُلامسا مراجعَهما وبحوثَهما، والمسؤول في إدارة لا يُستحسَن له تماما، وهو في إجازته، أن ينظر في ملفّاته وأن يتعهّد موازناتِه وبرامجه... وإن فعل أيٌّ من هؤلاء خلاف ذلك أفسد مفهوم الرّاحةِ وأفرغها من حقيقة**

TuniTests

معانيها، وأساء حتما إلى المقاصد الأصليّة المُعتبَرة الّتي من أجلها سُنّتْ وفي سبيلها أوُجِدتْ.

***] لم يعدْ في أيّامنا هذه شكّ أو ريبٌ في أنّ أوقات التّلميذِ خلال عطَلِه، لا سيّما الصّيفيّةَ، حريّ بها أن تُنذر بالأساس لحاسوبه وأن تُصرَف كلّها لهاتفه الذكيّ يعاشر الإنترنيتٍ معاشرةً عساه يأتي على مواقعها جلّها وصفحاتِها كلّها قبل أن يعاجله من جديدٍ قطارُ الدّروسِ الزّاحفُ ورحى الواجبات الدّاهمُ الجارفُ. فإذا كنتُ لا أُطيق عليها صبرا خلال أيّام الدّراسة، فكيف بي أن أفوّتَ مدّةً مديدةً كهذه لأسبح في بحرها الهائل مترامي الأطراف لا يُوقَف له على ضفافَ، حتّى لَو أدّى الأمرُ إلى هجْرِ المأكل والمشرب والرّقادِ ومجافاة الأهلِ والعشيرة وسائر الخلق والعبادِ. وبهذا فقط أراني قد صرفتُ أوقات راحتي في أصل وجهتها وجوهرِ معناها ووظيفتِها.**

***] ليس لأحدٍ والدا كان أم أخا أم قريبا أن يتدخّل في شأن راحاتنا من أيّامنا أو من أسابيعنا وشهورنا وسواتنا، وإنّما أهواؤُنا وعواطفُنا الذاتيّةُ الخاصّةُ هي الّتي يجب أن تتحكّم في تعاطينا معها، وإذا نظرنا إلى الواقع ألفينا كلَّ تلاميذ المعمورة في مشارق الأرض ومغاربها يُنفقونها في مرابع اللذّات ومَواطن المُتع والسّمر والسّهرات.**

ب/ حججٌ تناسبُ الموقف السّليم الواعي بحقيقة العلاقة بين أوقات الرّاحة وأوقات العمل:

مرحلة الهدم:

***] صحيحٌ أنّ للإنسان الحقَّ في أوقاتٍ للرّاحة، بيد أنّه لا يجب أن نحوّلها من نعمة إلى نقمة، بِضروب الاِستهتار والمغالاة والتّمادي والإيغال، لأنّ الشّيء إذا بلغ الشيءُ حدَّه اِنقلب إلى ضدِّه، وكما نعرف أيضا، فإنّ حبَّ التّناهي شططٌ وخيرَ الأمور الوسطْ.**

***] أنَّ وقتَ الرّاحة للمتعة والاِستجمام، هذه مسألة لا جدالَ فيها ولا مِراءَ، ولكنّ الأمرَ لا يعني البتّةَ أن نُسيء الاِختيارَ والفهمَ لِنقعَ في المحظور، فتتعاورنا الآفات وتتقاذفنا (أو**

تتناوبنا) الشّرورُ، ومثلنا العربيّ البليغُ يقول: "لا تكنْ يابسا فتُكسرْ، ولا تكنْ ليّنا فتُعصَرْ". وما قلتُ هذا إلاّ لأنّني ألفيتُك تُسيءُ اِختيارَ أنشطتِكَ ومشاغلِك لأوقات راحتِك.

***] أزمنةُ العملِ وأوقاتُ الرّاحةِ ما وُجدتْ بذلك التتّابع وبتلك السّيرورة المنظَّمة من التعاقب إلاّ لتُقرّ بضرورة التّعالُق بينهما والتّرابط المتين الوثيق الّذي يصل حدَّ التكامل والاِنسجام، فما نجح ناجحٌ في عمله إلاّ لأنّه أحسن تمضيةَ أوقاتِ راحتِه، وما اِستمرأ كائنٌ عطلَه وإجازاتِه إلاّ لأنّه عرف كيف يُتبِع بها أزمنةَ عملَه وأوقات واجبه. وهكذا تمضي حلقاتُ السّلسلةِ نظيمةً نضيدةً سليمةً.**

حججُ البناءِ والتوسّعِ:

***] النّفسُ البشريّةُ ميّالةٌ بطبيعتها إلى حبّ الاِستهتار، نزّاعةٌ بفطرتها إلى الكلَفِ بألوان اللّهو وضروب العبث والشّغبِ، وأكثرُ ما يُصيبها ذلك من أوقات الرّاحة وخلالَها، فهيَ تغازلُ النّفس وتستهويها لِديْدن الاِنحلال والميوعة، بالرّغبة في التّفاهات والرّغبة عن مكارم الفعال والتصرّفات. فإذا لم نَدْرُسْ لها فسَحَ راحاتِها ونضبطها ونخطّطْ لها، كانتْ بوادر الخسران أقرب من حظوظ الغنم والكسب للإنسان.**

***] المراوحة بين أزمنة العمل وأزمنة الراحة ليس صدفةً عشوائيّة عبثيّة أفرزتها الطّبيعةُ وساقتها الأقدار إلى حياتنا سوْقا، وإنّما هو اِختيار إنسانيّ واعٍ مدروسٌ، وتوجّهٌ عقلانيّ هادفٌ أثمرتْه مقتضياتُ التحضّر البشريّ بمرّ العصور والدّهور. فإنسانُ الأطوار البدائيّة وعاملُ عصور العبوديّة ما كان لينعم مطلقا بأوقاتٍ للرّاحة ومساحاتٍ للاِستجمام، وعليه، إذا كانت سيرورة التّاريخ قد جادت علينا بهذه النّعمة فلا يجوز بأيّ حال من الأحوال أن نستهتر بها ونُغاليَ في طلب العبث خلالها، فيرتدّ علينا الأمرُ مضرّةً وخسرانا مبينا جسيما:**

إزهاقُ روح الوقتِ عموما، والوقتُ كما قال المفكّر العربيّ أحمد أمين: "هو الحياة" (فضلا عن تلك الأمثال العربيّة المعروفة، من قبيل "الوقت كالسّيف إنْ لم تقطع قطعك"،

أو: "الوقت من ذهبْ لا يعود منه ما ذهبْ"، وحتّى أهل الغرب تنافسوا في تبجيل الوقت والرّفع من شأنه ومنزلته، فالفرنسيّون يعْدلونه بالفضّة: (le temps c est de l argent)، أمّا الإنكليز فيقيسونه بالمال: (time is money).

إزهاق روح وقت الراحة خصوصا بقيمته وأهميّته، ولولا ذلك لما قال فيه معلّم لبشريّة الأوّل ورائد الفلاسفة والحكماء سقراط: "إنّ وقت الفراغ هو أثمن ما نملك".

السّقوط في آفات سلوكيّة خطيرة على التّلميذ، نتيجة اِرتياد الأماكن المشبوهة والتوجّه خلال هذه المساحات الزّمنيّة إلى مظاهر من التصرّفات مشينة، مجاراةً للصّحْب واللّدات والأتراب من ثلْبٍ ونميمة واغتياب وتدخين وعنف ومعاقرة للخمرة وتعاطٍ للمخدّرات... وكلّ ذلك لأنّ أوقات الرّاحة لم تخضعِ للحكمة والدّراسة المعقلنَة الحكيمة.

تراجع النّتائج الدّراسيّة وتَقَهْقُرِها واندحارها، بما أنّ ما تلاها من أوقات راحة كان على حساب البدن والفكر.

*] التّلميذ ما مُنح هذه الأوقات إلاّ لتكون مطيّة ومِهادا أو قلْ جسرا متينا يصل ضفّةَ الجديّة والواجب بضفّة الأسترخاء والاِنشراح، فإذا بُنِيَ هذا الجسرُ على أسسٍ هشّةٍ متصّدعةٍ آذنَ بالتداعي والسّقوط في أيّة لحظة، فيخسر المرءُ الاِثنين معا: خسارة وقت العمل حين سنعود إليه في حال غير مناسبة، وخسارة وقت الراحة، بأنْ بدّدناه في غيرما منفعة أو إفادة.

*] أهل الغرب آل الحكمة والرّجاحة والعقلانيّة أولوا أوقات راحتهم من الأهميّة وحُسْن التّنظيم نفس ما أَولُوه لأزمنة العمل الرّسميّة، تراهم يُخضعونها للتّقسيم بحسب جداول معلومة ومشاعل مضبوطة، فإذا بها تعود على أبدانهم وأذهانهم وعقولهم بخير عميم لا يمكن إلاّ أن ينعكس إيجابا على أعمالهم الرّسميّة، فتراهم يشتغلون في هِمّةٍ وحماسٍ، في تفانٍ وإخلاص، لأنّهم أثناء راحاتهم لم يقتلوا وقتهم، بل شذّبوه وهذّبوه وصرفوه مصرفا حكيما فيه مُجتنًى للدّروس ومَغنمٌ للعبر: يمارسون فيه الرياضة، حتّى تسلم عقولهم وفي

ذلك سلامةٌ لأبدانهم أيضا، أُسوةً بالمثل القائل: "العقل السّليم في الجسم السّليم"، أو يطالعون فيه قصّة أو كتابا أو رواية تهذّب منهم الذّوق وتصقل فيهم المواهب. أو إنّك تراهم يَؤُمّون دُور السّينما والمسرح ومهرجانات الموسيقى والغناء الرّاقي ومعارض الرّسم والنّحت... فيُصيبون غايتيْن في الآن نفسِه: يرفّهون عن نفوسهم، ويُثقّفون عقولهم، وشتّان ما بين عاملٍ يُولّي وجهه شطر موضع عمله في راحة وامتلاء نفسيّ وفكريّ، وبين آخرَ يُيمّمُ شغلَه ضيّق الصّدر، منهوب الخاطر، فاتر الضّمير مُفرغ الرّوح فراغَ فؤاد أمّ عيسى، فلا يَلقَى عملَه سوى بنفس مُشمئزّةٍ كليلة عليلة مالّة، وعندها هل تُرانا ننتظر منه إبداعا فيه أو بذلا وعطاءً !

***] إنفاقُ أوقات الرّاحةِ بحكمةٍ ورويّةٍ يُرسّخ في الإنسان قِيَمًا محمودةً شتّى وخصالاً فاضلةً جمّةً، إذْ تكونُ تجربةً ناجعةً نافعةً لِتعويد النّفس على مَزيّة النّظام والاِنضباط، الحكمةِ والرّجاحة ومكارم الصّفات، التأنّي والرويّةِ والوعي بأزمنة الاِستقرار والسّبات وأوقات الحركيّة والنشّاط. ولك أن تُقارنَ بين أولئك المستقيمين المُتّزنين يدرجون في خضمّ الحياة وعنايةُ التّوفيق والنّجاح تشملهم برعايتها، وبين آخرين مُضطربين في مسار حياتهم يخبطون خبْط عشواءَ في ليلة ظلماءَ. فغَنِم الشقُّ الأوّلُ، لأنّ حكمتَه في التّعاطي مع أوقات راحته عادت عليه بالنّفع العميم، في حين آب الشقّ الثّاني بالخيبات والخسران، لأنّ اِضطرابَهم وتَخَبُّطَهم في التّعامل مع أوقات فراغهم أنزل بهم لعناتِ الاِضطراب وآفات تشويش الذّهن والنفس والخاطر.**

TuniTests